A.U.B. LIBRARY

189.3
G41Y6A
C.1

سلسلة خلاصة الفكر الإسلامي

اعترافات الغزالي
أو
كيف أرخ الغزالي نفسه

الدكتور عبد الحليم أبو الوفا البيومي

الناشر : دار الكتب الأهلية بميدان إبراهيم باشا بالقاهرة

59469

القاهرة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٩٤٣

الفهرس

صفحة

المقدمة ... ... ف

تعريف ، أو : جواب وسؤال

ا — جواب ؟...

١ — أبوه ٣
٢ — أمه ٣
٣ — أخوه ٣
٤ — الوصي عليه ٣
٥ — هو نفسه ٤
٦ — معلوه ٤
٧ — اتصاله بالوزير نظام الملك ٤
٨ — اختياره مدرساً بنظامية بغداد ٥

ب — سؤال ؟؟؟

٩ — أسئلة ، أو : نقاط الاعتراف ٦
١٠ — من صاحب هذا التعريف ؟ ٦

الباب الاول

ا — لماذا ألف الغزالى المنقذ من الضلال ؟

أو : لماذا قدم البناء الاعترافات ؟

صفحة

تنبيهات ٨

١ — سبب تأليفه المنقذ ٨

٢ — الظروف التى قص الغزالى فيها تاريخ حياته ٩

٣ — السبب المباشر فى إذاعته تاريخ حياته ٩

ب — كيف درس الغزالى العلوم المختلفة ؟

٤ — كيف درس الغزالى العلوم ولماذا ؟ ١١

٥ — لماذا طرح التقليد ظهريا ؟ ١٢

٦ — تحديد الحقيقة ، أو العلم اليقينى ١٢

حـ — كيف هجر العلوم ، وكيف أعلن الشك ، وكيف اعتصم باليقين ؟

٧ — هل الحواس وسائل العلم اليقينى ؟ ١٤

٨ — هل الأوليات وسائل العلم اليقينى ؟ ١٥

٩ — الأحلام بين الحقيقة والشك ١٥

١٠ — الشك يسيطر على الغزالى ١٦

١١ — اليقين يصرع الشك ١٧

١٢ — نور المعرفة واليقين ١٧

الباب الثانى

الشك بين الغزالى وديكارت

١ — شك الغزالى وايمانه

صفحة

١ لماذا دفع الغزالى لإيراد حكايه شكه ؟ ٢٠

٢ من أين أتى للغزالى فكرة الشك ٢١

٣ تطور فى الفكرة السفسطائية ٢٢

٤ — هل نجح فى إيراد الأدلة على عدم ثقته بالمحسوسات ؟ ٢٣

٥ هل نجح فى إيراد الأدلة على عدم ثقته بالأوليات ؟ ٢٣

٦ هل حقيقة رؤيته الأحلام شك كاف على شك ٢٤

٧ — دوافع الغزالى إلى الاعتراف بالله ٢٥

٨ إذا استبعد حكاية الشك فى « المنقذ » فهل نحكم ؟ ٢٥

٩ — الخلاصة المعقودة التى وصلت بين شكه وإيمانه

« أو الفكرة التى نعرفها بمصرع الشك » بين ٢٦

١٠ كيف خرج الغزالى من دائرة الشكى ؟ ٢٧

١١ — من أين أتى للغزالى النور الذى أنقذه ٢٩

٢ — شك ديكارت وايمانه

١٢ المراحل الستة التى سار فيها ديكارت حتى وصل إلى معرفة الحقيقة ٣١ . ٣٤

ح - شك الغزالي وديكارت وإيمانهما :

١٣ — مؤلفات ومعترفات ... ٣٥
١٤ — ميزان الحكم لدى الغزالي وديكارت ... ٣٦
١٥ — كل من الغزالي وديكارت وليد بيئته ... ٣٦
١٦ — الأحلام بين الغزالي وديكارت ... ٣٧
١٧ — طهرة الغزالي ومنطق ديكارت ... ٣٧
١٨ — الافتراضات بين الغزالي وديكارت ... ٣٨
١٩ — وحدة التفكير بين الغزالي وديكارت ... ٣٩
٢٠ — الغزالي متكلم ... ٤٠
٢١ — نور الغزالي فكرة صوفية ... ٤٠
٢٢ — وجود هنا وأشواك هناك ... ٤٠
٢٣ — أشواك لا ورود فيها ...
و « استنتاجات تبين أن الغزالي قد شك » ... ٤١ — ٤٥

الباب الثالث

كيف بحث الغزالي عن الحق ؟ وكيف قدر علم الكلام من وجهة

١ — حصر الغزالي الحق في أربع فرق ... ٤٨
٢ — كيف وثق من وجود الحق عند إحداها ؟ ... ٤٨
٣ — كيف درس علم الكلام وكيف رفضه ؟ ... ٤٩
٤ — نظرة الغزالي إلى كتاب محمد وحديث محمد وأمة محمد ٥٠
٥ — نور القرآن ونور الصوفية ... ٥١

الباب الرابع

دراسة الغزالي الفلسفة ، وتسفيه المتفلسفين

١ — تاريخ هذه الدراسة كما اعترف به الغزالي .

صفحة

١ — بدء درس الغزالي الفلسفة ٥٤

٢ — كتب درس الفلسفة ومتى وأين وعلى من وماذا رأى وعددا حكم عليها ٥٥

ب — تحليل هذه الاعترافات

٣ — هل درس الغزالي الفلسفة لينقد على الحقيقة ؟ ٥٧

٤ — لم درسها ليهدمها ؟ ٥٨

٥ — مجهودات الفلسفة التي قام بها ٦٠

أولا — مجهود دراسي محض ٦٠

ثانيا — مجهود نقدي سلبي ٦٠

ثالثا — مجهود نقدي تحليلي ٦١

٦ — لماذا أراد بعض الفلسفة وهدمها ؟ ٦١

٧ — الحق الصراح كما يعتقد ٦٣

الباب الخامس

محاربة الغزالي مذهب التعليمية

		صفحة
١	[illegible] الغزالي مذهب تعليمية ؟	٦٤
٢	— من أين [illegible] ؟	٦٥
٣	كيف [illegible]	٦٥
٤	[illegible] النتيجة التي وصل [illegible]	٦٥
٥	[illegible]	٦٦
٦	[illegible]	٦٦
٧	— [illegible]	٦٧
٨	— [illegible]	٦٧
٩	— [illegible]	٦٧
١٠	— [illegible]	٦٨
١١	[illegible]	٦٨
١٢	— [illegible]	٦٨
١٣	— [illegible]	٦٨
١٤	[illegible]	٦٩
١٥	— [illegible]	٦٩
١٦	[illegible]	٦٩
١٧	[illegible]	٦٩

صفحة

١٨ هل يمكن أن نخلق الطبيعة في عقد [illegible] ٧

١٩ لم لم يكتب عن الطبيعة لأن [illegible]

و [illegible] ٧١

٢٠ [illegible] ٧٢

٢١ هل اختفاء الحقيقة في اعترافات الغزالي كان قصدا ؟

[illegible] ٧٣

الباب السادس

الغزالي والصوفية

١ — اعترافات الغزالي الصوفية

أو طلاوة الغزل ونشر العلم بعد [illegible] وعاد الى نشره ببغداد ...

صفحة

١ — كيف درس الغزالي علم الصوفية، وحصله؟ ... ٨٠

٢ لم عدل أن يخلط في تعليمهم عملياً؟ ٨٠

٣ ملاحظة الغزالي نفسه وتحليله ٨١

٤ الغزالي على شفا جرف هار ٨٢

٥ [illegible] في الفكر، ووجوه في التعبير ٨٢

٦ — هواجس النفس، ووساوس الشيطان، وحيل النفس، وحيله، وتسلط على الغزالي ٨٢

٧ خاطرة تلمع منه [illegible] وبرث عقدة في لسانه، وحيرة في قلبه ٨٣

٨ سقوط اختيار عدد، والالتجاء إلى الله، حتى لاضطرار ٨٣

٩ الغزالي بين نفسه وربه ... ٨٤

١٠ عمل الغزالي هدى للتخلص من الأثقال والعوائق ٨٤

١١ — الغزالي بعد [illegible] ... ٨٥

١٢ دمشق موطن العزلة والخلوة ٨٥

١٣ — تفكير الغزالي في الحج على [illegible] ... ٨٥

٤ خلوته في [illegible] ... ٨٥

صفحة

١٥ — أمور لا يمكن إحصاؤها ولا استقصاؤها . ٨٦
١٦ — الصوفية ومشكاة النور . ٨٦
١٧ — الشروط الواجب توفرها في السالك طريق الصوفية ٨٧
١٨ — ما هو الحق الذي يجب على كل مسلم ٨٧
١٩ [illegible] ٨٨
٢٠ [illegible] ٨٨
٢١ [illegible] ٨٨
٢٢ [illegible] ٨٩
٢٣ — [illegible] ٩٠
٢٤ [illegible] ٩٠
٢٥ — [illegible] ٩١
٢٦ [illegible] ٩١
٢٧ [illegible] ٩١
٢٨ [illegible] ٩١
٢٩ [illegible] ٩٢
٣٠ [illegible] . ٩٢

ب — كشف الغطاء عما قالت وتقول به حولها ثورات :

٣١ — [illegible] ٩٠
٣٢ [illegible] ٩٣
٣٣ [illegible] . ٩٣
٣٤ [illegible] . ٩٤
٣٥ — [illegible] . . . ٩٤

الصفحة

٣٦ [illegible] ٩٥
٣٧ — [illegible] ٩٥
٣٨ [illegible] ٩٦
٣٩ — [illegible] ٩٧
٤٠ [illegible] ٩٩
٤١ [illegible] ١٠٠
٤٢ [illegible] ١٠٢

[illegible]

٤٣ [illegible] ١٠٣
٤٤ [illegible] ١٠٣
٤٥ [illegible] ١٠٥
٤٦ [illegible] ١٠٦
٤٧ [illegible] ١٠٦
٤٨ [illegible] ١٠٨
٤٩ [illegible] ١٠٩
٥٠ [illegible] ١
٥١ [illegible] ١
٥٢ [illegible] ١١١

صفحة

٥٣ كيف يستعد المرء لى عن الضلال و قود أخيه إليه ؟ .. ١١٢
٥٤ – حرص الناس من الخديعة والصحبة ١١٣
٥٥ – آراء أهل زمانه فى عزلته . ١١٥
٥٦ ... ومصحيح لأقدمه ١١٦
٥٧ كتاب تدريس ، واعتزال الناس ، أمن سعادى . ١١٧
٥٨ ... يصح أن يتقدس على ولده لا عرض عن المال و لولد ١١٧
٥٩ ... شرح حاله و لجوء الصوفية للصحيحة ١١٩
٦٠ ... عزلته حرى صوفيه حقاً ؟ .. ١٢٠
٦١ ... ى مدرسة دمشق ، وصحبته بيت المقدس ١٢١
٦٢ – مدرسته فى حوران ، ومعيشة ، وحلوته المعتمة ١٢٢
٦٣ ... يدعى المرء فى عزلة ؟ ... ١٢٣
٦٤ ... الناس لا يعترض الناس عليه ١٢٤
٦٥ ... أصبح المرء صوفياً حقاً ؟ ١٢٦

٦ صلاح بعد الخلوة والعزلة

هل يحتاط فى سلك الصوفية المرجوع فيه ؟

أو الرجوع إلى التدريس المرجوع عنه

٦٦ ... يصح المرء من عزلته ١٢٨
٦٧ ... يعلن إصلاح الناس أنه ترك عزلته . ١٢٩
٦٨ ... الذى أصلح من حاله المرء . ١٣١
٦٩ ... يحكمه بتتبع ما يبدو المرء . ١٣٣
٧٠ ... المرء من حال واستقر مره أخرى .. ١٣٣

صفحة

٧١ — إعصاب الله ، والناس ، ولا إعصاب السلطان ١٣٤

٧٢ — العقل السلطان على ما استقر عليه ثالثة .. ١٣٤

٧٣ — شبهة في التفكير ، وبين خروج العراقي من بغداد وتركه
التدريس ، وبين دخوله باريس وعودته إلى القاهرة ١٣٦

٧٤ — زعة بقطع ، أو ، حبس خصم ، أو الذهب الأستاذ
كتابه للنقد ١٣٩

٧٥ — العقل السلطان يعلم ما استقر عليه ١٤٠

٧٦ — باسم الله مجراها ومرساها ١٤١

الباب السابع

الغزالي

أ — الاعتذار الأول ، وهو اعتذار غير مقبول

		صفحة
١	هل يمكن أن نعد ما عرفت الغزالي صادقا من الناحية النفسية ، وما الذي يطمئننا الى ما تركه من [illegible]	١٤٥
٢	إحساس الغزالي بحجز عن الوصول الى ما يريد ، وبعدد ذلك	١٤٧
٣	— إحساس الغزالي بوصوله إلى ما يريد فعلا ، ونقد هذه النظرية	١٤٧
٤	وأخيرا استنباط عام	١٤٩

ب — الاعتذار الثاني ، وهو اعتذار مقبول .

٥	الغزالي حجة الإسلام ، ومرجع الدين ، والذي عاد [illegible]	١٥١
٦	الغزالي وصوفية الإسلام والذين سبقوهم	١٥١
٧	اعترافات الغزالي : قوتها وضعفها	١٥٢
٨	— الغزالي أستاذ الفلاسفة الأوربيين في العصور الوسطى	١٥٢
٩	— إذا : ماذا بقي للإسلام من رجال إذا كان الغزالي كذلك ؟	١٥٣
١٠	كيف نعيد الغزالي	١٥٣
١١	الغزالي نجم الكون الساطع	١٥٤

صفحة

١٢ — الصلة بين إباحة المرابى الكلب وبين عدم قبوله .. ١٥٦
١٣ — الصلة بين الوسيلة والغرض المقصود ، والمقصود حسماً ١٥٧
١٤ — سبب تقديم هذا الاعتذار .. ١٥٨
١٥ — وجد فى بدأ هذا الاعتذار ... ١٥٩
١٦ — وجه الصلة بين هذا الاعتذار والذى
قبله وبين الذى بعده ١٥٩
١٧ — غرض البحث ١٦٠

أ — الفقر ليس شارع مقبض المرابى ١٦٠
ب — اعترافات المرابى فى الفقر هى مثالبه ١٦٠
ج — تاريخ المرابى فى الفقر هو قصة ، وأبو عامر
بطلها ١٦١
د — على المستشرقين وتلاميذهم أن يراعوا ما كتبوا ،
فقد يقضوا ما أبرموا ١٦١

هـ — مقدمات هذه الرسالة أو قدمة فى أسلوب وتلك البحث

١٨ — ... ١٦٣
١٩ — ... ١٦٣
٢٠ — ... ١٦٤
٢١ — ... ١٦٤
٢٢ — ... ١٦٤

تقديم

حين أُذيع امتحان الدكتوراه أول مرة بالجامعة المصرية سنة ١٩٢٥، ثار الجمهور في أثناء الامتحان على عبارات رشيد رضا العراقي، وانتقص من مقدمة حسن، وزاد في ثورة الجمهور عليه أنه قصيدة الأستاذ الشيخ عبد المجيد سليم التي نظمها في رثاء وكان من شهود الامتحان

ثم عاد الثوار، حين ظهر كتاب «الأدب العربي» وعلى أوراقه بين الحرائد وتحدثت في كل الجرائد العربية، وما زالت تلك الثورة تحقق بين وقت وآخر أن يعقد من يعقد مؤتمرا، أو تحرر الصحف هجوما على العرب صدقة صداعا التسليم على يوم كتب صفحة الورق في سنة ١٩٣٨

وقد قدم إلى الدكتوراه أطروحة مؤلفة أخيرة عن «العرب في العراق»، فقرأها في ساعة واحدة، ثم قررت رده بالإجماع، لأنه ليس عراقيا كما حسبت أول وهلة، ولا يعرف من مقدمة حسن

(١) وقد كان أول من اقترح على الجامعة المصرية أن تمنح الدكتوراه بالامتحان هو المرحوم أحمد لطفي السيد، وهو الذي أشار على الجامعة أن تجعل الامتحان علنيا

ثم رجعت إلى نفسي فقلت : ما الذي يمنع من أن تكون المقدمة موازية لما قاله المؤلف في العراق ، وما فات فيه لا تكون هذه فرصة لاستدراك روح العراق ، وقد قيل وفي الإمكان أبدع

وما هي إلا بضعة أشهر في كتب الأدب في عهد العراق ، حتى رأيت أن هجوم المؤلف على العراق صورة من هجومي عليه فيما يتصل بالاعراب ، وعلى الأخص فيما يتعلق بموازنته بينه وبين دكاتب ، فبهم كان أولى بالهجوم المؤلف ، مع أني سبقته إلى ذلك الهجوم بأعوام طوال

يظهر أن فيه جميع نزعته إلى مسايرة القدماء ، وهي نزعة لا تتحرر معها إلا حين تكون الاعتصامات بنصر عنصر ومصر وعقل

وظهر لي أن روح العراق قد ظهر على نفسه من حيث إلى حين

وقد اعتذر المؤلف عن العراق كما اعتذرت من قبل ، ومع هذا فإني لمؤكد عندي أن العراق لو بعث لأعلن صداقته لمن جادلوه على خلاف ما جادلناه ، لأن خصومته بعراقي ليست من جنس خصومة معاصريه - وكانوا في أغلب من الخالدين - وإنما هي خصومة كريمة مصدرها الشوق إلى معرفة الحق دون ما ترك ذلك البحث الكبير من أقوال وآراء

في المؤلف الجديد الذي أكتب له هذه المقدمة، عيب واحد، هو أن المؤلف «الدكتور أو محمد» يعرض على جماهير القراء تاريخ العراق بالتفصيل، وهو يثق بالنقد الاعتراف وذلك في رأيي عيب جميل، ثم يخوض في عرض الصفوة الأدبية في قراء اللغة العربية، ولعلهم جميعاً وقفوا مرفوف من تاريخ العراق شيء وشيء!

والكتاب كله مبني على تزييف عترات العراق، وجعلها صورية لا حقيقية، وقد دار المؤلف حول هذا العرض بأسلوب ملفوف، مراعاة لعواطف القارئ، وقد نبه على بعض في دين الصفحة الثامنة على أن ملاحظاته استعرضه

«لن ينقص من قيمة العراق شيئاً، ولن ينقص من كرامته الشخصية بأي حال، وإنما القارئ المتعجل عكس ذلك»

وأقول إن المؤلف كان يستطيع الاستغناء عن هذا الاحتراس لأن البحث العلمي لا يعرف التحرج في الكشف عن الحقائق، ولأن كرامة العراق الشخصية ليست أعز من كرامة العلم، وهو من كبار الذين أقوا أعمارهم في البحث عن الحق

ومن حسن الحظ أن المؤلف، يحرر في محبة العراق، تمضي في عروقه غير هيابة، ولعل في مقدمته الجديدة هذه تهيئة للمتشيعين للعراق، فلسوفهم من البحث في أدعيته

إنهم يعلمون فقد حصر ركود الدراسات العلمية، وحرمت من النفع الذي يثيره الجدال

وسكتى أسبق شيخ العراق إلى مصرته وقول

هل كان يجب على العراق أن يحق ما سطره من قلق سبب
تحرره عن الوصول إلى الحقيقة

هل كان يجب على العراق أن يسكر نفقه بالدين والأدب
والأدب، ليصبح حلوته الصوفية

هل كان يجب أن يكون عبد الله حلوه بجميع شؤون حياته
بالتفصيل ليعفيه من تهمة الزندقة

لم يعتمد العراق الصدق في كل ما رواه، حتى في البحر
الذي وجب كتمان بعض شؤونه، وفي بعض الفضائل السلبية
ما يوازي قوة الفضائل الإيجابية، لو اعتبرنا بين الإنصاف

إنه من أعجب العجب أن نرى حسنات الغير زلة تهوي
بصاحبها إلى أعمق دركات الجحيم، ولا نرى من الزلة أن تعدد
أنفسنا بعرض مساوئها على الناس

إن تحرر العراق في بعض الاعترافات دليل على أنه رجل سليم
Normal وأنه ذهب إلى أبعد من ذلك. فالذي أرى العراق عما
انتهى إليه شاهد على قوة ثقته بالنفس، وقد أيد التاريخ هذا المعنى،
فكم من أبطال فوق مراحل التاريخ، وسنتقصى أمرهم وأحوال
قبل أن نسأل روح العراق شيئاً من الخلود

إن أكثر اللغات معطرة باسم الغزالي، مع أنه في اللغة العربية
من المطلومين، وقد حبست شهرته بالتصوف على قيمته العلمية، وإلا

من الذى يعرف أن بحثه فى المنطق هى خير ما كتب فى لغته عن هذه ؟

ومن الذى يعرف أنه ذلّل لغته التى كتب بها علوم الأصول ؟

ومن الذى يعرف أن أبحاثه فى الفقه هى خير ما تُرجم من شافعيته ؟

لا يعوز الغزالى إلا أن يكون له [illegible] وخير تلاميذ ذلك الإمام الجليل ، وسنخدمه بشرح ما خلف من أفكار وآراء ، نلحق به أخاه ، فقد كان له مدرسة خاصة فى كل قديم ، ونلحق اسمه من جديد فى سماء المعقول والمنقول

وأبرز ما التى كتب لهذه المقدمة حقق هذا الغرض ، فهى ثورة على عبودية الغرب كما فهمها بعضهم ، والمستشرقون ثورة بعض الشرقيين على تراث أجدادهم

ليت ثم ليت

ليت الدنيا تسمح أن نقف على الغزالى مصورا فى نواحيه العلمية والروحية ، فقد خلق هذا الرجل ليقاوم الفكر والليل ، وشغل الدنيا بعقله وروحه أمدا من الزمان

إن النسخة التى اعتمدت عليها فى تحقيق كتاب الأحياء نسخة أثرية ، وقد سمعت أن الذى نشرها رجلٌ من بنى إسرائيل !

فمتى تعود سيطرة الغزالى العلمية والروحية يتحرق فى نشر كتبه أقطابُ المال ؟

ومتى نرى فى القاهرة مكتبة لا تنشر غير مؤلفات الغزالى ، وما كتب فى نقد الغزالى

لقد استشرت حين رأيت « دار الكتب الأهلية بميدان إبراهيم باشا » تنشر هذا المؤلف ، وكان منظورا أن المكانة التي تقوم بذلك الميدان لا تعرف غير طرائف الأقاصيص

مصر خير وعافيه ، جعلها الله إلى الأبد منارة الفكر والعقل والبيان

زكي مبارك

من وزارة المعارف

أول مايو سنة ١٩٤٣

تعـــريف

أو

جواب وسؤال

جواب ...

١ — أبوه

أما أبوه فقد كان فقيراً صالحاً عزال صوف وكان دائماً يجلس إلى الفقهاء . ويحترمهم ويحسن إليهم ، ويتمنى أن يكون له ابن مثلهم ، وكان عندما يجلس إلى أوساط وحلقات الصوفية يتأثر منهم ويرجو الله أن يرزقه بابن يشاكلهم [1]

٢ — أمه

أما أمه فلا يعرف من أمرها شيء إلا أنها توفيت وهو صغير

٣ — أخوه

أما أخوه الأكبر منه سناً ، فقد انخرط في سلك الصوفية شاباً واختلى بنفسه ودخل بغداد وارتحم الناس على دروسه وكان دائماً يصيح بأخيه الأصغر هذا قوله

إذا صحبت الملوك فالبس ... ثوب التوقي وأنت ملتبس
وادخل إذا ما دخلت أعمى ... واخرج إذا ما خرجت أخرس

٤ — أوصى عليه

أما أوصى عليه وعلى أخيه الأكبر هذا فقد كان رجلاً صوفياً وصاه عليهما أبوهما قبل موته

وهو الذي قال لهما عندما حضرته الوفاة عليهما

« اعلما أني أتعقب عليكما ما كان لكما أو لرجل فقير ليس لي مال فأواسيكما به . وأرى أن تلجآ إلى مدرسة كأنكما من طلبة العلم

(١) ص ٢ ، ١ ، ٢ صفة الصفوة لابن الجوزي

فيحصل لكم قوت يعينكم على وقتكم . » ففعلا وكان ذلك سبباً في تعلمهما [1]

٥ — موعظته

أما هو عظه . الذي نقص به « فهو القائل « طلب العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله »

٦ معلوماته

أما بعض معلوماته

في صباه كان أحمد بن محمد الزاذكاني الذي أخذ عنه صرفاً من الفقه في طوس

وفي شبابه عند ما سافر إلى نيسابور ليتلقى العلم بمدرستها كان أمام الحرمين إمام الحرمين الجويني الأشعري النسبي حيث كان يدرس به فدرس عليه المنطق والفقه والأصول واتحد وظل معه بنيسابور إلى أن توفي سنة ١٠٨٥ م = ٤٧٨ هـ [2]

٧ — اتصاله بالوزير نظام الملك

وعند وفاة أستاذه إمام الحرمين هذا ، خرج من نيسابور وسنه ثلاث وعشرون سنة إلى العسكر وهي بلدة قريبة منها

وهناك تعرف إلى وزير جلال الملك ومؤسس المدارس النظامية بالعراق [3]

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) هو أبو علي الحسن بن علي بن إسحق الطوسي (٨ ؟ — ٤٨٥ هـ) ، وزير السلطان السلجوقي ألب أرسلان ، وابنه ملكشاه ، وقد مكث بالوزارة ثلاثين سنة .

هذا الوزير ما كان يحترم إلا أدعياء العلم وفقراء الصوفية ،
وما سئل عن سبب ذلك قال

« إن هؤلاء إذا ورتهم منى أثنوا على ما ليس فى

٨ الجامع المدرسة النظامية ببغداد

من ذلك الشاب الذى نترجم له يختلف إلى مجلس بهاء الملك
ويتدخل فى المناقشات التى تحدث فى ذلك المجلس

وأخيرا بعد ست سنوات وجد الوزير نظام الملك فى ذلك
الشاب ما يتفق ورغباته وميوله ، فولاه التدريس بمدرسته ببغداد
١٠٩١ م - ٤٨٤ هـ وكانت سنه حينئذ ٣٤ سنة فراح للتدريس بها
ونال شهرة واسعة بفضل بيانه وفصاحة لسانه ، وبكلمته الدقيقة
وإشاراته اللاذعة .[1]

(١) هذه هى ترجمة الغزالى كما وصفه المستشرق الفرنسى ماسينيون
فى كتابه الذى وضعه عنه وهو بعنوان La Passion d'Al Hallaj
وقد ألخص المؤلف منه

ب ـــ سؤال ؟؟؟

٨ ـ أســئلة أو بعض الأعتراف

أما ذا ترك التدريس بنظامية بغداد وبعد عشر سنوات أو تريد رجع إلى التدريس بنظاميه نيسابور ؟؟

أما ذا ترك العراق واختفى بالشام عشر سنوات أو تريد ثم رجع إلى العراق ثانيه ؟

أما ذا حمل على الفلسفة وسفه الفلاسفة ؟

أما ذا بغض الباطنيه وكتب ضد التعليم

أما قوله ليس لعلم غير الله فيما ينبغي أن يكون إلا الله ، ولا يدري هل كل ما به حق وصدق ؟ أو حق وتصدق به جانب العلم غير الله وبعض منكره وبعضه غير الله كما بدأه

أما الأجابه عن ذلك كله فسيتضح عند هو نفسه في عباراته التي سنجمعها هنا وأتي سطرها في كتاب به وهو المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزه والجلال ، وأتي سأتكلم عنه بأسهاب في الفصول الآتيه

أما من هو ذلك الحبر ـ الفقيه ـ المحدث ـ الأستاذ ـ الفيلسوف ـ الصوفي ـ المتكلم ؟؟

فهو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الفارسي الأصل والمولود في ٤٥٠ هـ - ١٠٥٨ م بطوس

والمتوفى في ٥٠٥ هـ ـ ١١١٢ م بطوس أيضاً

الباب الاول

ا — لماذا ألف العراقي المقدر منه الفضول ؟
أو لماذا قوم ايسا اعترافاته ؟

١ [illegible]
٢ [illegible]
٣ [illegible]

ب — كيف درس العراقي العلوم المختلفة ؟

٤ [illegible]
٥ [illegible]
٦ — [illegible]

ج — كيف جمع العلوم وكيف أعلن الشك وكيف اختتم باليقين ؟

٧ [illegible]
٨ [illegible]
٩ — [illegible]
١٠ [illegible]
١١ — [illegible]
١٢ — [illegible]

١ لماذا ألف الغزالي المنقذ؟
أو لماذا قدم إلينا اعترافاته؟

١ — أما بعد فقد سألتني أيها الأخ في الدين، أن أحكي لك ما قاسيته في استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق مع تباين المسالك والطرق، وما استحثثت عليه من الارتفاع من حضيض التقليد إلى يفاع الاستبصار، وما استفدته أولاً من علم الكلام، وما احتويته ثانياً من طرق أهل التعليم القاصرين إدراك الحق على تقييد الأمام، وما ازدريته ثالثاً من طرق التفلسف، وما ارتصيته أخيراً من طريقة التصوف، وما انحى في تضاعيف تفتيشي عن أقاويل الخلق من لباب الحق، وما ضرفني عن بشر العلم بمعداد، مع كثرة الطلبة، وما دعاني إلى معاودتي تدريسا بعد طول المدة

ملاحظات

١ — سقط العنوان من النصوص عندنا بين قوسين وهي مقدمة من كلام الناشر في الطبعة فيها شيء من التصرف للمعنى الذي لا يمس المعنى المراد للقائله بأي حال

٢ — اعتمدنا في نقل هذه العبارات على نسخة المطبوعة بمطبعة بن زيدون بدمشق سنة ١٩٣٤ وهي طبعة شعبية المنسخة بعد أن تصفحنا جميع صفحات الطبعة فوجدناها أصحها وأدقها.

٣ — أرجو القارىء ألا يتعجل في تكوين فكرة ما عن الغزالي حتى أتى على جميع هذا البحث الذي اعتقد أن كل بحث منه وكل فقرة فيه تكمل الأخرى، وهذه مجتمعة تكون فكرة ما يتعين من قيمة الغزالي العلمية وفي تحديد من كرامته بشخصه بأي حال وأن هذا القارىء متعجل عكس ذلك

فاتدرت لإجابتك إلى مطلبك بعد الوقوف على صدق رغبتك، وقلت مستعيناً بالله ومتوكلاً عليه، ومستوفقاً منه، وملتجئاً إليه . . . . اعلموا . . . . . (١)»

٢ — الظروف التي قضى الغزالي فيها بقية حياته

هذه الكلمات بدأ الغزالي يقص علينا تاريخ حياته الفكرية في كتابه «المنقذ من الضلال، والموصل إلى ذي العزة والجلال».

وقد كان ذلك حول أواخر الأحيرة من سنة أربعمائة وتسعة وتسعين هجريه، أو الأيام الأولى من السنة التي تليها

وبعد أن انتهى فعلا من تآليفه الفقهية والأصوليه، ومن الرد على التعليميه والفلاسفة، ومن الدعايه والنشر لتقليد الصوفية وأخذهم، وبعد أن أودع كل علمه بحياته الخالد.

وبعد أن جاوزت سنه الخمسين، وقبل أن تصعد روحه أربع سنوات إلى الرفيق الأعلى

٣ — السبب الباعث له على تدوين قصة حياته

وسواء أسأله حقيقه ما له في الدين حكاية ما قاسه في استخلاص الحق وبيان ما صدره عن بشر العلم بمغداد، ومبدأ دعاه ثانية إلى نشره بنيسابور و . .

أم اقتضى هو أن هناك سائلا قد سأله هذا السؤال، فهذا فضلا عن أنه عرض للفكر التي يحتويها الكتاب مرتبة كترتيب الكتاب نفسه، فهو على كل حال يدل على أن تطوره الفكري وسيره العلمي فيه بعض الغموض الذي يحتاج إلى شيء من

(١) صفحة ٣ و ٤

التصويب والإيضاح ، حتى يرد ما وجه إليه من النقد ، « كما يفهم ذلك من سؤاله السابق » ، أو ما قد يُوجّه إليه فى المستقبل

لا سيما أن الناس جميعاً قد رأوه يترك التدريس بنظامية بغداد ، ويعتزل الناس عشر سنوات أو تزيد

ورأوه أيضاً بعد هذا الاعتزال يرجع إلى نيسابور ليقوم بتدريس تلك العلوم نفسها

ولو أمعنّا فى هذه الحادثة ، حادثة رجوعه إلى التدريس بنيسابور ، « وهى آخر الحوادث التى سجلها فى المنقذ ، كانت هى السبب فى كتابته نفسه وفى تسجيله اعترافاته ، أو بعبارة أدق كانت هى سبب تأليفه لكتابه « المنقذ من الضلال » ، وتوصل إلى ذى الجرد والخلال » .

ب — كيف درس الغزالى العلوم المختلفة ؟

١ — كيف درس الغزالى العلوم ومناهجه ؟

يحدثنا الغزالى نفسه

« من مراهقته إلى الآن ، أى من قبل العشرين إلى الخمسين وهو فى حرب وجلاد ، فهو يقتحم خضم العلوم ، ويخوض عمارها خوض الجسور ، ويتوغل فى كل مضيعة ، ويتهجم على كل مشكلة ، ويتقحم كل ورطة ، ويفحص عن عقيدة كل فرقة ، ويستكشف أسرار كل مذهب »[1]

« فقرأت [ ] وسمعت [ ] وحصل [ ] ، وأتى على كلام المتكلمين ، وحرص على مبلغ أنظار المتصوفين[2]

لماذا كل هذا ؟

يجيب الغزالى .

« لأنه [ ] بين الحق والمبطل ، بين المنسن والمبتدع »[3]

« وأنا لتعطش إلى درك الحقائق » حقائق الأمور » وذلك

(١) المنقذ ص ٥
(٢) المنقذ ص ٥ و ٦
(٣) المنقذ ص ٥

وديدنه عزيزة وفطرة وضعها الله في جبلته ، فليس له فيه حيلة واختيار »[1] .

ويحدثنا أيضاً بأنه :

« عندما وجد نفسه اضطراراً لا اختياراً متعطشاً إلى درك الحقائق ، وبأنه عندما رأى صبيان النصارى يشبُّون على التنصر ، وغلمان اليهود يدرجون على اليهود ، وفتيان المسلمين يشبون على الإسلام ، وعندما سمع حديث محمد عليه السلام « كل مولود يولد على فطرة الإسلام ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه[2] » .

ثم يحدثنا بأنه

« عندما رأى كل هذا انجلى عنه غاشية التقليد ، وانكسرت عنه العقائد الموروثة على قرب عهدها من الصبا ، وتحرك باطنه إلى طلب حقيقة الفطرة الأصلية ، وإلى معرفة حقيقة العقائد المزرية بتقليد الوالدين والأساتيذ ، وإلى التمييز بين هذه التقليدات أيها أيها تقليدات »[3]

٦ — عقبة أو العلم اللدني

وهنا يبدأ الغزالي تحديد الخطوة التي يشعر ويبين العلم اليقيني الذي يريد أن يعتصم به

هنا يقول له

« أن العلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافاً لا يبقى

(١) « المنقذ ص ٧ »
(٢) « المنقذ ص ٧ »
(٣) « المنقذ ص ٧ و ٨ »

معه ريب ، ولا يقرب منه غلط أو وهم ، حتى ولو قلب الحجر ذهبا ، والعصا ثعبانا ، دليلا على عدم صحته ما تطرق إلى المؤمن به أصل من الشك أو خفيف من الانكار » .[1]

وبعد أن يصل الغزالى إلى هذا التحديد يعمل العقل جميعا .

« ان كل الحقائق التى لا يعمها على هذا النحو من اليقين هى حقائق لا ثقة بها ولا أمان معها » .[2]

أو بعبارة أدق هى ليست فى نطاق العلم اليقينى أى حال .

---

(١) « المنقذ ص ٨ »

(٢) « المنقذ ص ٩ »

← كيف نحد العلوم؟
وكيف أعلن الشك؟
وكيف اعتصم باليقين؟

يتحدث الغزالي عن

بعد تحديده لهم يتبين أنه فتش عن علومه التي لف صفته والتي تدخل في نطاقه فوجد أن الحسيات والضروريات هي التي يمكن أن تكون لها هذه الصفات»[1].

ولكنه يشكك فيها قائلا

«لعله لا تكون الحسيات غير موثوق بها كالمقيدات سواء بسواء وهي التي صرحتم بظهوره

وهل حقا يمكن أن يتطرق إليها الشك

نعم وفعلا تطرق إليها الشك فإن الواحد يسمع فيجد نفسه أقوى حواسه وهو البصر وحده يحس بأنه مستدير ثم يحس فيراه واقفا بينما هو بالمشاهدة والتجربة يتحرك بسرعة، ويحس بأنه يبصر في الكوكب فيراه صغيرا في مقدار دينار بينما الأدلة الهندسية تدل على أنه أكبر من الأرض في المقدار»[2].

---

(١) المنقذ ص ١٠٠.
(٢) المنقذ ص ١١٠.

يستنبط الغزالى من هذا :

« ان أمثال هذه المحسوسات التى كانت وسائل علمه بها وحكمه عليها حواسه لا يمكن أن تدخل فى نطاق العلم اليقينى إذ جاء حاكم العقل فكذبها تكذيباً لا سبيل إلى مدافعته »[1]

وهنا يقفز الغزالى إلى النتيجة الآتية قائلا

« أما وقد عدمت الثقة بالمحسوسات فهل يمكن أن توجد ثقة بالعقليات المؤسسة على الأوليات كقولنا العشرة أكثر من الثلاثة والنفى والإثبات لا يجتمعان »

ولكن المحسوسات تنهض قائلة له :

بم تأمن أن تكون ثقتك بالعقليات كثقتك بالمحسوسات ؟

أما كنت واثقا فى شىء جاءك العقل فكذبك ولولا مجىء العقل لاستمررت على تصديقى !!؟

ألا يمكن إذن أن يكون وراء إدراك العقل حاكم آخر يدرك فيحكم بكذب العقل فى حكمه كما حكم العقل فكذب الحس فى حكمه ، وعدم الحس على ذلك الحاكم « الإدراك » لا يدل على استحالته ؟! »[2]

لم يحر الغزالى جوابا عما سبق ، بل راح يشكك فى كل ما يراه فى المنام من الأحلام والخيالات التى يعتقد ثباتها واستقرارها ، وعند

---

(١) « منقذ ص ١١ »
(٢) « منقذ ص ١١ و ١٢ »

أسيقاضه يعلم أن جميع ما رآه في منامه وهم وخيال

وهنا يسائل الغزالي نفسه:

« ثم تأمن أن تكون هناك حالة « هي غير موجودة لسبب ما » ستنتهي إلى يقظتك كنسبة يقظتك إلى منامك ، وتكون يقظتك نوما بالنسبة إليها ، وعلى ذلك فكل ما تعتقده في يقظتك تحس أو تعقل هو حق بالإضافة إلى حالتك الآن

أما لو عرضت لك تلك الحالة « التي هي بسبب ما غير موجودة الآن » لعلمت أن جميع ما توهمته بعقلك هو خيالات لا أصل لها

وهنا عرض الغزالي أن تلك الحالة هي إما أن تكون

أ — الحالة التي يدعيها الصوفية « حالة الوجد » Ecstasi فهم يزعمون حين تلابسهم تلك الحالة أنهم يشاهدون أمورا لا توافق هذه المعقولات

ب — وإما أن تكون هي حالة الموت فمحمد عليه السلام يقول الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا . فمن الحياة الدنيا هي نوم بالنسبة إلى الحياة الأخرى ، فإذا مات الإنسان ظهرت له الأشياء على خلاف ما يشاهدها الآن ، وقيل له حينئذ « كشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » .[1]

٤ الشك يسيطر على تفكير الغزالي

نعم حاول تفكير الغزالي الخوض في هذه الأمور واقتحمت نفسه تحاول لذلك علاجا ، والعلاج لا يمكن إلا بدين ، والدين لا يمكن

(١) « منقذ من ١٢ و ١٣ »

ألا يكون مركباً من الأوليات ، وقد رأيت سابقاً أنها ليست في نطاق علمه العقيمي

«أعضل الداء وشح الدواء فصل شهرين تقريباً وهو على مذهب السفسطة بحكم الجدل لا بحكم المقال»[1]

«ولكن بعد انقضاء الشهران شفاه الله من ذلك المرض وعادت النفس إلى الصحة والاعتدال ورجعت الضروريات والأوليات العقلية مقبولة موثوقاً بها على أمن ويقين»[1].

٥ — اليقين يصرع الشك

كيف شفي ؟

كيف دحض الأوليات في نطاق علمه العقيمي

«لم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام بل بنور قذفه الله في قلبه»[2]

«ذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف»[3]

٦ — نور يعرفه اليقين

«ذلك النور هو الذي أراده إله المسلمين حين حلاله عندما قال «فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام»[3]

«ذلك النور هو الذي أراده نبي المسلمين عليه السلام عندما سئل عن معنى الشرح فقال «هو نور يقذفه الله في القلب»[3].

«ذلك النور علامته الانحراف عن دار الغرور والأنابة إلى دار الخلود»[3]

«ذلك النور هو الذي في محمد عليه السلام فيه «إن الله تعالى

(١) «منقذ من ١٣» (٢) «منقذ من ١٢» (٣) «منقذ من ١٤»

خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره »[1].

« ذلك النور يقبس فقط من الجود الإلهى »[1]

« ذلك النور يجب الترصد له ، فلعله لركم فى أيام دهركم نفحات فلا تعرضوا لها »[2]

« من ذلك النور يجب أن يطلب الكشف[3] » ويرتجى العلم اليقينى و هتقد احقيقة والمعرفة Conoscensa

هذا هو شك الغزالى ... وإليه كما روى ذلك هو نفسه .

أما تحليله ونقده ، أما وجه الحق فيه ومدى الواقع لديه فإليك النقد وإليك التحليل

---

(١) « منقذ ص ١٤ » (٢) « منقذ ص ١٤ و ١٥ »

الباب الثانى

ا — شك الغزالى وأتباعه

١
٢
٣
٤
٥
٦
٧
٨
٩
١٠
١١

ب — شك ديكارت وأتباعه

١٢

ج — شك المحدثين وديكارت وأتباعهما

١٣ —
١٤
١٥
١٦
١٧ —
١٨ —
١٩
٢٠ —
٢١ —
٢٢
٢٣ —

١ ـ شك الغزالى وإيمانه

١ ـ ما الذى أورد الغزالى حكاية الشك مقتنعا به اعترافاته التى قصها فى المنقذ من ضلال المفكرين ونهج العلماء الأحرار هو عدم التقيد بآراء السابقين لأنهم لا يوافق آراءهم وحينئذ يستقونها لا على أنهم لهم مقلدون لأنهم قد فيها موافقون فكأنهم لهم مفكرون.

وهكذا يريد الغزالى أن يدل على أن بحثه فى العلوم ووصوله إلى الحقيقة وإيمانه بمعرفة إنما كان عن بحثه الخاص، وتفكيره الشخصى واستقلاله الفكرى فلم يتقيد الشيء المعروف وبحث العلوم بعد أن أتى عليها وعرفها، فتدرج من حضيض المتكلمين إلى عالم التعليمية «الباطنية» ومن آراء الفلاسفة فى بحث الصوفية، لم يقلد شخصا ولم يتابع مذهبا، وإنما صرح بهذه كل هذه الحقائق، واختبر نفسه طريقة صعبة حاول السير عليه حتى اعتصم بالحق، وفاز بالمعرفة واليقين.

ولكن هل يمكننا أن نقبل أنه كان كذلك حقا؟

وهذا ما سوف نرى.

هل فكرة الشك التى حكاها الغزالى فى المنقذ كانت فى نفسه

وبرعت من تفكيره ولم يتقيد على غيره

ليس من ريب فى أن فكرة الشك فى الحقائق ، والتجرد من التقييدات والتحيزات ، هى فكرة قديمة تأسست منذ فجر الإنسان من طلب المعرفة لكل ما يجرى حوله ، ومن الجهل بها حينا ، ومن الشك فيها حينا ، ومن الوقوف على حقيقتها أحيانا

أليس الشك هو المرحلة الوسطى لجميع الحقائق

أما فكرة تأسيس الشك وقواعده ، واعتباره كمذهب من مذاهب التفكير ، وكوسيلة من وسائل الوصول إلى المعرفة ، فهى فكرة إغريقية قديمة يدين بها السفسطائيون ، واخترعوها ليس للتفكير ، ومعايير التفكير

ليس فى كل هذا ريب

ولكن لا يكون الغرالى قد وصل إلى نظرية الشك هذه فكرة المستقل ورأيه الخاص

ولم لا يكون اتفاقه مع السفسطائيين فى التفكير ، فى هذا من توافق الآراء ، وتقارب الأفكار

نعم إن الغرالى نفسه قد كفانا مئونة البحث والتحرى ، فقد دل على أنه قد عرف حكاية الشك ، وعرف أن السفسطائيين أصحابها ، وعرف أنه تقيها عليهم ، بل وكتب فى أحد كتبه ، وقد قبل أن يكتب كتابه المنقذ هذا ، وقبل أن يقصد عند قصاصين منه أنه هو المبتكر لها المخترع لأحاديثها

من أن التفكير فكرة قديمة

فهو في كتاب « قضايا الذهبية »[1] صفحة بدئ سنة ١٩١٦ بإشراف "Gold Zther" يقول :

« إن الفيلسوفين أنكروا الضرورات وحاكموا فيها، ورأوا أنها خيالات لا أصل لها، واستدلوا على هذا الزعم بأن أمر الضرورات على المحسوسات ومع ذلك فلا يمكن القطع بها

فهذا هذب شخص وكلامه فلا يمكن أن يكون مشاهدته وكلامه دالة على حصوره، بل لعلك رأيته في المنام، وكم من منام يراه الإنسان ويقطع به، ولا تجاوز مع نفسه في تحققه ثم نبه على خلوه فتبين أنه لا وجود له »[2]

٣ — [illegible] وكم [illegible] ك [illegible]

ثم إن العراقي قد أخذ فكرة ابن هذه كما رأيت وحورها وسقطها، فجعل السبب الذي حمله المحسوسات، ثم الذي حمله الأوليات الضرورية، مجرد الإنسان في المنام، وهذا يحس العراقي أنه نائم في جميع الحالات، وأنه عاجز عن الوصول إلى يقين، فسمى تلك الحالة « حالة الشك المؤلم » حيث

وأخيرا شفيه الله من هذا المرض

حكى العراقي كل ذلك في أسلوب حر خال، خلاف مؤثر، عاطفي أكثر منه عقلي، منطقي أكثر منه مقنع

٤ — [illegible] في [illegible] على [illegible] المحسوسات [illegible]

فهو إذا يحمل على الأوليات الضرورية حملة، والمحسوس

(١) [illegible] ص ٢٧٢ ؛ [illegible]

(٢) [illegible] ص ٢١ .

بها وهم وضلال . لأنك ترى الشمس واقفة بينما هو يتحرك

من أين عرف وقوف الشمس ؟

بصره الخاطف السريع

من أين عرف حركة الشمس ؟

بصره الهادئ البريء . تجربته ومشاهدته المبنية على البصر المتئد والبصر المستديم

وهذه التجربة أصبحت عنده ضرورة عقلية وقاعدة لا تتبدل فيها ولا تحول

وبهذا صدق كل حكمه الأول غير صحيح لأنه غير مستمد ، وكل حكمه الثاني صحيح لأنه حكم

وكل الإحساس هو الذي يحكم الإحساس

٥ — رد على جميع إيراد الأدلة على عدم ثقته بالأوليات »

ويحتج فيلسوفنا على الاستنتاج الخاطئ السابق من أن هذه ضرورة عقلية وحكمها عنده قد كذب حواسه « حاكمه الحسي » فأصبحت هذه الحواس لا أمل لها فكيف تثق إذن بضرورياته العقلية

افرض أنه قد يوجد حاكم لم يعترض عليه للان « كذب هذه الضروريات كما كذب حاكم الحس

وفضلا عن أن هذا الفرض محض يمكن أن يوجه إلى أية حقيقة في الوجود ، وفضلا عن أنه يمكن افتراض حاكم آخر يخطئ الحاكم الذي افترضه ، وهكذا نسلسل فرض هذا الحاكم إلى ما لا نهاية .

نعم أقول فضلا عن كل هذا فإن النزالي بنى هذا الفرض على

أساس أنه عثر على حاكم عقلي كذب الحاكم الحسي

مع أنك لمست أن هذا الحاكم العقلي هو حاكم حسي ، وأنه لم يكن هناك تصديق ثم تكذيب ، بل كان هناك حكم « حسي خطأ » وحكم حسي صواب ، وأن هناك حاكما حسيا خطأ وحاكما حسيا .

وهذا كله فضلا عن أنه هو نفسه يرد هذا الرأي السفسطائي في فصائح الباطنية السابق الذكر مثلا أخير

« ان قول السفسطائيين بالشك في المحسوسات والضروريات يجب أن لا يشكك فيهما وكذلك انصرفت فيها بعد وصولها من مقدمات تبقى ضرورية لا تجري فيها كما في الحسابيات[1] »

٦ هل حصة رد الأحلام شكا في شك

نعم هذه هي مشكلة الحاكم الحسي ، ومشكلة الحاكم العقلي ، أما مشكلة الأحلام فيعتقد الغزالي أن الأحلام زادته شكا على شك ، لأنه عاذا يأمن وجود حالة « افترضها هو » خير ما رآه في اليقظة ضلالا ، كما أحالت اليقظة ما رآه في المنام ضلالا

ولكن هذه الخاتمة الفرضية كما قدمنا لا بد أن يكون لها أساس كسائر الافتراضات يؤسس عليه ، ولا بد أن يكون لها قياس يتجهها ، وهدف تتجه إليه

ويظهر كما يفهم من كلام الغزالي أنه فرض تلك الحالة قياسا على افتراضه حالة الحاكم العقلي حينما عثر عليه فكذب به الحاكم الحسي ، وعلى افتراضه حالة لا وجود لها قد تكذب الحاكم العقلي أيضا

---

(١) « فضائح الباطنية » ص ٢١ .

وهى كما ترى افتراضات شاسعة غير صحيح، لأنه كما سبق لايوجد حاكم عقلى ليكذب الحاكم الحسى، وإنما يُوجد حاكم حسى يكذب حاكما حسياً

٧ — دوافع الغزالى فى هذه الافتراضات

ولكن ما الذى دفعه إلى كل هذه الافتراضات؟

هناك حقيقة كونتها من دراسة الغزالى

وهى أنه على استعداد لأن أحد به فكرة من الفكر، شرعية أو فلسفية أو صوفية أو حتى سفسطائية كما هنا، متى أحس بأنه حاجة إليها، ثم يؤيدها بالأدلة، ويؤكدها بالبراهين، من أية نوع كانت، وبأى أسلوب أتى به

وهذه نفسه فى حاجة إلى فكرة الشك التى عثر عليها عند دراسته الفلاسفة الأقدمين « السفسطائيين » فاستعملها، ولكنه يريد أن لا يسنده فى المنقذ إلى قائلها، كما أسندها إلى أصحابها فى كتابه المستظهرى « فضائح الباطنية »

٨ — لماذا أسند الغزالى حكاية الشك فى المستظهرى إلى الباطنية؟

أما لماذا أسندها هناك ولم يسندها هنا؟

فلأنه هناك كان يجادل وخصمه علم، اصطلحوا وتسلحوا بسلاح فلسفته وهو السفسطة، فلا أخفى عليهم أن فكرة الشك إذا ليسندها إلى قائلها، لن يسندها يؤيده، وأحدؤها بكشفه وضعفه

أما هنا فليس هو فى موضع نقاش، بل هو يكتب ما يكتب فى المنقذ للناس جميعا، فأراد أن يوهمهم بأن نظريه الشك هذه من

تفكيره الخاص، ولهذا فهو يوردها بدافع من نفسه، ويورد كثيراً من الاعتراضات عليها لمناقشتها، وأخيراً يؤيد ما يريد بكلام الله، وكلام الرسول، وكلام الفلاسفة، وكلام المتصوفة!

أقول، وجد نفسه في احتياج إلى فكرة الشك، ولكن،

كيف يعطيها الحياة بدونها

وكيف يعطي نفسه القوة ليتغلب عليها

ثم بالاقتراضات أخذها كما أتت

وبالتصوف مس عليها كما سنرى

٩ — نفسه ... وشكه ...

ثم بالتصوف مس عليها فهل نحن نرى أن الغزالي بعد أن شك في كل شيء، حتى في المحسوسات والمعقولات الأولية، ومن ثم أوى في النظريات والمعقولات النظرية، وبعد أن شكه وأكده حلم نائم ورؤى الليل، شرعت نفسه وتاه شعوره، وظل على ذلك شهرين كاملين، لم يكتب فيهما عن شكه كلمة، ولم يحدث شيئاً في نفسه إلى متحدث، يرد الصواب ليعضده بدليل، ولا يكون الدليل إلا أن يكون من المحسوسات والأوليات، وهي لديه سم زعاف

بعد هذا هل يمكن للغزالي أن يخرج من هذا المأزق الشكي الحرج؟

نعم إن من الحق الكثير من يريد أن يكتب عن الحالة النفسية لفرد ما، أن يجتهد في أن يلبس لبوس ذلك الفرد، ويجعل نفسه

ظروفه، أو على الأقل ليذكر هذه الظروف حيناً، ويشعر نفسه أنه مضطر بها، ثم يتركها نفسه حينئذ تذهب لعوامل المختلفة، والعوارض المتنوعة، ثم يتحدث

وهنا لاشك في أنه يكون أقدر على التحدث من أي شخص لم يخض نفسه تلك التجربة، وهو يعبر عنها هذه الظروف والملابسات

أقول هذا هذا كيف خرج العراق من هذا المأزق الشكي؟ هذا الفرض أيها السادة أثار العراق وهذه حالته، وقد حققت هذا الشك في نفسك وقوته، فهل سكنت وتحررت

محسن

أن العراق حينئذ رجل العسكر، وهو الإسلام، وحلل المشكلات

هل يخرج من هذا الشك بمخرج شرعي، فيعتقد به وهو مستمد قوته، وحجته من كلام الله، وكلام محمد، وأخبار أصحابه، والتابعين

محسن نصير

أنه قد ترك التعليم بعداد، وقف على عقيدة كل مذهب حينئذ، وأفهمها تفهماً، أخبرني و[illegible] بها عن بينة وعين واقعة في عرض الأخبار [illegible] (١)

هل خرج بمخرج مما تشعبه

---

(١) [illegible] ص ٢٣ [illegible]

حد محال أيضاً .

لأنهم الفئة التي كتب تهافته في الرد عليها ، فشوش آراءها ، وسفه أحلامها

لم يبق بد ، لأن يخرج نخرج الصوفيه ، وهم الذين اعتزل لأجلهم العلم والدين عشر سنوات أو تزيد

وعن هذين فيهم

« إنهم طرقهم أقوم الطرق ، بل لو جمع عقل العقلاء ، وعلم الواقفين على أسرار الشرع ، ليغيروا شيئاً من سيرتهم ، ويبدلوه بما هو خير منه ، فلن يجدوا إليه سبيلا ، إذ كل جميع حركاتهم وسكناتهم ، ظاهراً وباطناً ، مقتبسة من نور مشكاة النبوة ، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به [1] »

نعم إن جميع حركاتهم وسكناتهم مقتبسة من نور النبوة ، لكن جميع أفكارهم وأنظارهم فيه ، بل أقوى من اليقين نفسه

ولكن كيف يحس بذلك غيرهم هذا ؟

ليس هذا من دليل حتى يركنه ، ليخرج به من قلق الشك والدنس ، فيقوده إلى حلة اليقين ، لاضطراب

السبعة العسكرية والمنطقية مقصورة بين الحقيقتين :

الحقيقة الأولى ، أثبت الشك في كل شيء ، والحقيقة الثانية ، أثبت اليقين في كل شيء !

---

(١) المنقذ ص ٦٨ .

ولكن هل التصوف عترف بعقل ، وبالمنطق ، وبالفكر ، وبالمقدمات ، وبالنتائج ؟

كلا ! « فالعقل ليس كاشفا للعظماء عن جميع المعضلات »[1]

« ومن قصر الكشف والمعرفة على الأدلة المجردة ، فقد ضيق رحمة الله الواسعة[2] » .

إذا كان مقصورا على مصراعيه ، فسيجد العراقي ريض التصوف ، ولو كان مدخلها كسم الخياط .

وهنا يدخل العراقي هذه الرياض ، فيجد أن الله ، أو نور الله بعبارة أدق ، هو الذي يمكنه أن يكون هذه الحاسة المفقودة

وهنا يؤذن في الناس أن الله قذف في قلبه نورا جعله يؤمن بالمحسوسات ، وبالصور وبالنتائج

١١ — ولكن من أين مرد ذلك النور ؟

ولكننا نعيد السؤال الذي سألناه عندما انتهى إلى الشك في كل شيء .

نعيده مستدلين كلمة الشك بكلمة اليقين مستأنسين

هل فكرة اليقين لمصطفى هذه ، أو مسرة أدق ، هل فكرة النور الذي قذفه الله في قلبه ، فأرجع إليه الإيمان ، ثبت في نفسه ، وبرئت من نفسه ، ولم يتقهقر عن غيره ؟

لم ، بل سبحت كما أحسن سابق « سيري »

فها هو العراقي يدلنا على أنه وهو في المرحلة حينما كان يقرأ

(١) ... ص ٤٥ ... (٢) ... ص ٤١ ...

للصوفية، و تحدث إليهم، ويكتب عنهم أن قرأ للحارث بن أسد المحاسبي، كما كتب هو نفسه في بحثه[1]

« إن العقل نور تقذفه الله في القلب به يستعد الإنسان لإدراك الأشياء »

ويقول العراقي نفسه في نص الصفحة

ويفكر المحاسبي نفسه رأي من قال بأن « العقل » يتكون من مجرد العلوم الضرورية »

هذا رأي ورثي أن العراقي قد قال ما عنده بالحرف الواحد !

إذن فالعقل الذي يريده العراقي يفهم به المحسوسات والأوليات وينضاف إليهما هو ذلك النور

إذن ليستفد العراقي نفسه، فيستمع من كلام الصوفية، ويقبض عليه بكلتا يديه، ويقذف به في قلبه، فيعود هو إلى صحوه والاعتدال، وترجع الضروريات العقلية مقبولة موثوقا بها على أمن وعلى وفاق قد كان !!

---

(١) ج ١ ص ١٠٠ طبع ١٢٨٩ هـ بمصر من ٧٥ .

ب — شك ديكارت وإيمانه

« ضوء ... شك ديكارت »

مرحلة الشك الديكارتي

سار ديكارت في تصوير شكه كما حكاه في التأملات وفي المنهج والسيره لأتيه

مرحلة الأولى

١ — لاحظ ديكارت أنه على طائفة من الآراء الخاطئة على أنها صحيحة، فأراد التخلص منها. ولكنه وجد أن ذلك أمر جليل وخطير، ولهذا انتظر حتى بلغ سن النضج وقوته، ليقوى على تنفيذ ذلك الأمر الجليل، واحتمال هذا الشيء الخطير

وأخيرا حرر عقله من الأهواء، والأفكار، والمشاغل، واعتزل الناس، وعكف جديا على هدم أفكاره القديمة عامة [1]

مرحلة الثانية

٢ — وقد رأى من هذه الأفكار أحقا نصرا من حديد، فوجد أن أقوى ما يحصل عليه من المعلومات، يأتي له عن طريق الحواس، ولكنه حرك أحيانا أن الحواس خادعة

إذا يجب عدم الركون إلى من خدعنا، وعدم الاعتراف بما توصله لنا الحواس من الحقائق [2]

---

(١) « تأملات ص ٢٥ ... ٢٩ » راجع ٢٧٢٩٨ فلسفة عكسية الحديثة

(٢) « تأملات ص ٣٧ ».

المرحلة الثالثة

٣ — ولكن هل للحقيقة وجود ؟

يقول : إنى أرى فى نومى أشياء أعتقد أنها حقيقية ، ربما عند استيقاظى أجدها وهما وخيالا .

ولكنى أحس أنى متأكد حين المنام ، وثقتى عما أرى ، يعادل ثقتى وتأكدى عما أراه فى اليقظة ، وأيهما الحقيقة وأيهما الوهم [1] ؟

أليس ما يراه فى المنام هو نشأة وصورة لما يراه فى الحقيقة

إذا يجب الاعتراف بأن جميع الصور التى يراها فى أحلامنا ، حتى ولو كانت خيالية ، لها أساس بسيط من الحقيقة كما نرى لوحة وحين منه أنواعا ، وصنعه الخيال وصنع منه صورا وألوانا [2]

المرحلة الرابعة

٤ — وإلى هنا يؤمن ديكارت بأنه مع هذا وذاك الحقيقة البسيطة ، وكل ما كان يعتقده حقا ، فكان يسير به الشك فيقول

ربما عند جمعى ٢ + ٢ = ٤ يقدر لى على الخطأ ، لأنه لدى أو من بقدرته من صغرى ، بينما اعتقد عدمه ، والعكس ، لهذا يحس الافتراض ، وخدع نفسى بأن كل آرائى كاذبة وهمية ، يصبح اعتقادى القديم كاعتقادى الجديد ، كلاهما وهم وضلال ، فيبطل تحكم القديم فىّ ، وأصبح خلوا من كل شىء

إذا لا شىء ، لا سماء ، لا هواء ، لا أرض ، لا

(١) « تأملات ص ٣٨ »

(٢) « تأملات ص ٣٩ » « »

وهنا أصبح غير قادر على الحكم تماما[1].

مرحلة خامسة

٥ ـ ولكن هذه الصحة وهي عدم قدرتي على الحكم بتا متعه وشافه، وفي كل حدس دون أن أشعر إلى مجرى حياتي العادية، كأن الإنسان عندما يعي في النوم بخيال لديه، يحاف الاستقاظ تلا يحرمه، فيعود إلى النوم ثانية[2]

يقول ديكارت عند ذلك

وهنا أعود من جديد نفسي ودون أن أشعر إلى آرائي القديمة. حقيقة أن اليقظة شاقة لي بعض هدوء هذه الراحة بدل أن تحب في بعض الصبر، والنور بعرفه الحقيقة، لا تكون كافية لإضاءة ظلمات الصعوبات التي أثيرت آن

إذا لا بد أن أرجع إلى الاعتراض الأخير، ولكن ليوصلني إلى العلم اليقيني[3]

وهنا نبدأ المرحلة الأخيرة

يقول ديكارت

مرحلة السادسة

٦ ـ بعد هذا أفرض

أنه لا توجد حقيقة ما تماما في هذا العالم، بل أن كل ما أراه من الأشياء يمكن أن يكون كاذبا

(١) ص ٢٠ وما بعدها.
(٢) ص ٢٦ من المتن.
(٣) ص ٢٦ من المتن.

وما دمت قد قمت أنا بهذا الفرض شخصاً فأنا إذاً موجود وكائن .

وما دمت قد فرضت وجودي وكينونتي فإذاً أنا مفكر

إذاً أنا كائن مفكر

إذ أنا مفكر في أشياء لا تعرف إلا بالمفكر وحده

لا بما تعرف أنها تُرى وتلمس ، ولكن لأنها تفهم وتدرك بالفكر

إذ جميع الأشياء والأجسام تدرك بالفكر لا بالحواس

إذاً يصح فكري لا حواسي أساس العلم بالأشياء .

وهنا يصل ديكارت إلى شاطىء الأمان ، فيعتصم بالمعرفة ، ويعود شبح الشك[1]

---

(١) د . أمين . ص ٢٠ و ٣٠ و ١٢ د . أطلس .

٥ — شك الغزالى وشك ديكارت وإيمانهما

١ — من البديهى أن كلا من الغزالى وديكارت قد عرف نظرية الشك قبلا. ١٣ — يوافقنا وقد يخالف

٢ — ومن البديهى أيضاً أن الغزالى شك فى التلقينيات، وفى المحسوسات، والضروريات، كما شك ديكارت؛ ولو أن سيرة كل منهما فى إثبات هذا الشك ومعالجته، قد تغيرت تمام التغير كما ظهر لك مما سبق.

٣ — ثم راد ديكارت نحثه إيضاحا عند ما قال

قد يكون لله دخل فى إثبات الحقائق وقلبها، فقد يكون مستحيلاً صحيحه بينما يقدر الله على فهمها خطأ، وقد يكون خطأ بينما يقدر الله على فهمها صواب.

٤ — وكما رأيت فى المرحلة الرابعة أصبح ديكارت غير قادر على الحكم على الأشياء، فوصل الشك فى كل شىء لديه إلى القمة كما حصل عند الغزالى تماماً.

٥ — ورأيت أيضاً كيف أثر الغزالى فى إثبات الشك، وكيف سار ديكارت السيرة المفهومة الطبيعية فأعطاك تفكيراً متماسك الحلقات.

٥ — أما كيف خرجا من المأزق الشكى، وكيف برئا من لقمة

العلية والحذار من الفلسفة، وهذا ما دعا فيه ديكارت الغرابة
إلى مدينة ودعت منهما طريقهما كل مذهب

١٤ وكذلك مذهب من كبار الغربيين في ميزان الحكم على الحقائق لديه هو الدين، هو الأصول الدينية

فالرأي حق إذا ما اتفق مع الدين وتقرر به

وصاحب هذا الرأي مسلم مؤمن

والرأي باطل وغير مقبول إذا ما اختلف مع الدين وتقريره، وصاحب هذا الرأي ملحد وزنديق وكافر

وهو في هذا يحكم مؤمن الغربيين بأسرهم، كما فعلهم من حيث لا يدرون، ويعيبهم في جمع كثير إلى كثيرين من هؤلاء، يأخذهم فيه

فعند ديكارت الميزان الحكم لديه هو منطق الأرسطاطاليين، هو مقدمات وانتاج، ولا يهمه بعد ذلك أن تواضع الأهواء على النتيجة، أو تكفر الظنون الدين، أو حتى حسب رأيه تلحده، ويعين معه، وكلاهما هدف يجب أن يتجنبه، ولا يدعه

١٥ ولا يخص كذلك أحد من طريقة كلهم: ديكارت وميزان مذهبه حد الأثر، وهب كلاهم من ثقة وحس، وما يرقى من تفكير ونظر، فديكارت رجل الرياضة التي تعرف بالمقدمات الدقيقة، والمستنتجات الأدق، رجل الفكر المنظم، والرأي المنظم، فهو

لا يمكن أن يكون إلا هكذا

تفكير منظم ، دقيق ، منسق ، وموصل ، وحسبي

أما الغزالي فله من بيئته ومن تقدمه في شتى العلوم وثقافته بين وهذه المعارف والعلوم ، ومن بعده عن الرعيات التي تساعده على تنظيم فكره وترتيب مقدماته وتوثيق الصلة بين الدليل والنتيجة للغزالي سبب كل هذا عند أتباعه ، وشفيع ليس لمثله شفيع

أما في تدعيم الشك بالروي في نفسه ، فقد رد ديكارت على الغزالي ١٩ لأهم بين الغزالي وديكارت
ردا صريحا عندما قال

إنه نحن الأعراف ، بأن جميع الصور التي نراها في أحلامنا ، حتى ولو كانت خيالية ، لها أساس مستمد من الحقيقة كما نراه ، وتضخمه الخيال

أما كيف وجد نفس الغزالي إلى الوثوق بضرورات ١٧ - بين الغزالي ومعاصر ديكارت
فقد كان ذلك بسبب نور قذفه الله في نفسه

نعم إن هذا النور أو ذاك السبب ، بعد عنا نحن عامة الناس بل خاصتهم ، فالله قد ركب في عقولا ، وأودع بين جوانحنا تفكيرا منطقيا ، وأسبابا للفهم ، وطريقة للبحث والاستقصاء ، وما علينا من أن نستعمل سواه

وذلك خلاف ديكارت فقد خلق في الحقيقة الإنسانية وبزل إلى مستوى الطبيعة البشرية ، وما هو إلا بشر عندهم ، حين وصل

إلى الشك فى كل شىء وحتى أحس أنه غير قادر على الحكم تماما »

ولكن هذا متعب وشاق ، وفى كثير من الحديث دون أن أشعر إلى مجرى حياتى العادية ، فكذلك أعود من تلقاء نفسى ، ودون أن أشعر أيضا إلى آرائى القديمة

من يسمع هذا ولا يحس أنه مع ديكارت

من يسمع هذا ولا يحس حسه وشعوره

من يسمع هذا ولا يمس الشك فى نفسه بدءا ولكن ليقين كما نفسه فيصيره

أنه هو فى فكر وحده فى شك حتى اليقين ، مما يخرج منه وحده ، لأن الله أرسل إليه نورا يقذفه

١٨ — الإنسان بين الشك واليقين

ومع إذا كان هو فى فكره وصل إلى يقينه بنفسه عن طريق الفكر ، فقد استفاد من فرضه هذا ؟

وإذا كان هو يستعمل كأساس منطقه يمس به حتى الشك واليقين . وليس به من عالم ونفسه ، فهذا يجعل نفسه فى قلب اهتمامه

ومع هذا فسنعرض لأفكاره حتى نرى هل يستطيع الشك ووسيلته إلى عالمه ونفسه ومن ، فهل نرى أن من هذه المقدمات إلى اليقين الشك ، وأن الطريق يرجع به اليقين إلى نفسه ، وهى نور الإلهى نفسه ؟

الواقع أنه لا ...

إذ فما كان أحراه ألا يأتى بنصرية الشك ويتعب نفسه فى إيرادها وفى إثباتها ، وما كان أجدره بأن يملأ هذه الفجوة (وهى النور الإلهى الذى أرجع إليه اليقين) كأنها هبة من الله يرسل بها ، ونعمة من سماء أنعم بها ، سيما أنه كما تقدم كان قد قرأها وعرفها من كلام الصوفية ومن كتب الواصلين

هذه نفسه من العرض التى يرى ديكارت قد استعمل هذه الفرصات ، وسخر لنفسه إيرادها عندما اضطر إليها اضطرارا ، وعندما أحس أنها قد توصله إلى اليقين المنشود ، والحقيقة المنشاه

وفعلا كان كذلك سيما أن فراغه التى ركن فوقها ، لعلو فيلسوف كلا بد خلقه ، هى فرضيات معقولة مفهومة

« يجب أن نقارن هذا العرض السابق « الديكارتى » بخيالى الصوفية والموت اللتين فرضهما العراقى

وهنا نترك هذه الفرضيات جانبا ، ودولينا نحثنا نحو الوحدة الفكرية بين السيرة المنصفية لكل من العرى وديكارت فنجد

وحدة فكرية بين العرى وديكارت

ان ديكارت سار فى بادئ الشك ، ثم سار فى سيره بخلال ليقين محله ، سيرة فكرية منصفة « إلى حدّ ما » أرسطاطاليسية متماسكة الحلقات .

أما العرى فقد سار ولا سيره سقسطائيه مبنية على المغالطة ، كما رأيت فى مناقشته المحسوسات ، والأوليات ، والرؤى ، ليست لشك ، مستنجدا بكلام الله جل جلاله حينا ، وبكلام محمد عليه

السلام حيناً آخر

وأخيراً عندما أراد إحلال سقيم محله صار سيره صوفية .

٢٠ — الغزالي متكلم

والواقع أنه كعادته دائماً وهي عادة المتكلمين ، من أنهم يؤيدون العقائد الدينية بالآراء العقلية ، والحجج المنطقية ، أي أن النتيجة موجودة فعلاً لديهم ، وعليهم فقط إحضار المقدمات ، وجمع الأدلة من هنا والبراهين من هناك

٢١ — نور القذف فكرة صوفية

فالغزالي في الواقع كان كذلك آخذ فكرته الصوفية وهي : « أن العقل نور يقذفه الله في القلب »

فأراد أن يلبس هذه الفكرة لبوس الفلسفة ، فيستلف نظرية الشك السفسطائية ويصورها ، بما يتفق فيها ليلبسها لبوس الحياة ، ثم يرتقها بالافتراضات طوراً ، وبكلام الرسول حيناً ، وبقول الله أحياناً .

وأخيراً يأتي بنظريته الصوفية بوصفها هي الصدق ولو تنافرت الأنواع وعايرت الأنواع !

ولو تباعدت حلقاتها ، وكان بعضها غير مؤتلف مع صدرها !!

٢٢ — ورود هذه وأشواك هناك

لهذا كله أصغر إلى أن أسس أن ديكارت شك حقيقة ، لأن على شكه أسس المعرفة ، ولأن شكه العميق الإيمان واليقين ، ولأنه متسجم مع نفسه وتفكيره وما يحيط به .

أما الغزالي فإنه افترض أنه شك ، لأنه علم مما قرأ أن هناك نظرية الشك السفسطائية .

وفرض أنه وصل إلى اليقين لأنه عن ما قريب سيأتي هذه طريقة اليقين الصوفية.

وأتى عليهما لا يؤلف بين حرائمهما، ويوفق بين حقيقتهما، ولكن يمعن في التعمد بينهما، فيفرض حد لأقرأ، وحدود جهده حوله يشك الشك، ويفترض وجود كذلك حتى يثبت اليقين

حدثنا المؤمن بمعالجة وسيطرته على الشك، ثم تركه حائرا، وسفن بالحيرة وغيرها، فأخذ يبحث أنه وصل إلى اليقين، فيرد كله الصوفية عنها مرة أخرى «ترصدوا» وبالرغم في أحد هذه المحاولات ألا فتعرضوا لها».

٢٣ - الشك لا يرد عليه أو

والآن وبعد أن قدمت بين يدي كل ما تقدم لا يمكن أن نستمر وتعلل

أن يعد حالة من الشك

(١) إن القارئ لمقدمة الغزالي يتذكر حكاية الشك واليقين ليجعلها كمقدمة لنزعة جديدة لتاريخ الفكر في

وليجعلك أيها القارئ، لكنه متقدم من الضلال المؤمن أنه سار في دراسة ومحاولة المذاهب الفكرية سيرة فاسفية حرة، ولذلك شك في كل شيء، ومما تقدم من أنه والضلال غير ضلال الصوفية ولا ضلال المتصوفين

وليجعلك أيضا على أن تؤمن أنه في هذه الدراسة وفي ذلك البحث، كان رجل الفكر الحر الذي لا يؤمن إلا بالضروريات، ويطرح وراءه ظهريا كلام المتكلمين، واردى تعاليم الناطقين،

وبعده نظريات المتفلسفين، وأخيراً دخل في حيرة المتصوفين

(ب) ولأن الطريقة التي عالج بها إثبات الشك هي طريقة سفسطائية، والتي عالج بها حيرته، وإحلال اليقين محله هي طريقة ونهج صوفي، و« لأسباب أخرى غير هذا » فقد « أكد لنا أنه قام بذلك » لتحليل نظريه الشك ونظريه اليقين « بعد دراسته للتصوف. ومن المؤكد أنه درسهما بعد أن اعتزل الناس للتصوف، وبعد أن ترك التدريس، وبعد أن قام بدراسته علم الكلام، وبعد أن فرغ من دراسته، مع أنه يريد أن يقنعنا في كتابه المنقذ، حين تكلم عن نظريه الشك واليقين، أنه شك في مقتبل حياته، وقبل دراسته علم الكلام والتصوف وبقية العلوم كما سنبين ذلك بعد.

(ج) وأنه يمكننا أن نستخلص من أقواله أنه سلك طريق الشك واليقين، وهو عكس ما ذهب إليه وبحث كما بحث

فنظريه الشك هي أنه وجد نفسه وهو في أوج علمه وشهرته الواسعة، هي موجوده ولا، وعرفها هو كما عرفها الناس جميعاً من سفسطائيين

ونظريه اليقين التي عالجها ودرسها، هي موجوده أصلاً، وعرفها هو كما عرفها الناس جميعاً من متصوفين

وهذا ما يدلنا على أنه لم تكن لنظريتين لم تتصورا حقيقة، ولم يقنعا من قبله، وهما فرعهما وتفهمهما وصفى عليهما شعوره الشخصي والخواري والأخلاقي، لأكثر ولأقل - ليقدم بهما كتابه

« منقذ من الضلال » والموصل إلى ذي العزة والجلال »

يقول إنه وهو في مقتبل حياته (وعلى قرب عهد بسن الصبا) سورته نفسه الشك، ومرض بسبب ذلك شهرين كاملين، وهذا يدعونا أن نعزو إلى بدء تلك الشك كان في مقتبل حياته، وأنه مرض بسبب ذلك شهرين

وهذه حادثة مادية أرخها المؤلف بدء عهده بالشك لا أنه تصنعه في العلوم ليبحث من جديد وعلى ضوء جديد

وأنه كما قال في « المنقذ » عند دراسته لهذه العلوم « لم أقنع فيها بكلام وكلام » وهي تشبه مادة معينة، لها موارد محدودة فحصل فكرة واسعة

(ب) يقول أنه بدأ وهو متسع حياته سورته نفسه بالشك، ومرض شهرين كاملين، وهو ما في بدء الوجوديين، وأخيرا رجع إليه النفس والإيمان

هذه حادثة مرض نفسي، وليست فكرية، هي عند المفكرين والفلاسفة عند صغار الحدث في التفكير والبحث، ولهذا لا يمكن أن تكون ذلك الشك في حياة مرادي إذا كان ذلك صحيحا وهذه المواضع وهي

أولا: تسميته لأسلوب العلمي: أسلوب البحث والتجريب، وعدم تسليم بالأقوال صحيحة، والآراء قصيرة، والأحاديث غير الموثوق بها، مما تتناسب مع حياته نفسية الشك، واعتصامه

اليقين ، لدى وصل إليه والدى جعله لا يؤمن إلا بالضرورات فقط

ولكن مع كل هذا فنحن نرى فى الإحياء وفى غيره مما كتبه بعد تلك الحادثة الخطيرة ، أنه مملوء بالآراء غير الممحصة ، والأحاديث غير المصححة ، والحكايات غير المعقولة ، وما كان يوردها ولا يقبل أن يكتبها بعد أن مر بذلك لتحقيق أى حال من الأحوال

أجل ، وكان لا بد له من أن يكتب عن تلك الحالة ؛ حالة الشك التى صورته « حيثما » ، وكيف تعلب عليها بإحلال اليقين ، ودبت لتكون سببا لأن تحدث وتتصبح طريقا لأحد المشككين يسيرون على منواله ، وسبيلا إلى صمت المتفلسفين والمحدثين بهتدون بصوته وتفلسه

ولكنه لم يعمل هذا مع أنه كتب فى الإحياء ، وفى غير الإحياء عن أحوال الصوفية ، وعن ضروب التشبه ، وعن أشياء كثيرة هى دون ضربة الشك واليقين فى الأهمية والخطورة بكثير وكثير

فلا يدلنا كل هذا على أن ضربة الشك واليقين ، لم تتورة إلا بعد أن كتب هذه لتكتب بعده ، وحين كتابة المنقذ فقط ، وبعبارة أدق إنه ما فكر فيها إلا حين أراد كتابة تاريخ حياته ، أى لا على أنها رواية تخصه كحقيقة ، بل على أن هذا ما كان يجب أن يكون

(و) وأخيرا نقول للعراقى هذه

« إن المقصود من عرض كل هذه الحكايات » المذكورات السابقة « هو أن يعلم كمال الحد فى الطلب حتى ينتهى بنا » هذا

الحد « إلى حيث ما لا يتناهى »[1]

هل تصدق هذا الكلام ، هو كلام الغزالى عنه تدليلا لنحته فى تعريف الشك والمعرفة !

هل تريد بعد ذلك إعلانا ، وتصريحا أكثر من أنه كتب ما كتب إرشادا لطريق حق ، وحث على ما فيه كمال الحد فى طلب المعرفة ، والوصول إلى اليقين !!

(١) « مقدمة ص ١٥ »

الباب الثالث

كيف بحث الغزالي عن الحق ، وكيف نقد علم الكلام وربفه ؟

١ — [illegible]

٢ — [illegible]

٣ — [illegible]

٤ — [illegible]

٥ — [illegible]

بحثه عن الحق وزعمه علم الكلام ونقده المتكلمين

١ — حكم الغزالي على أرباب الفرق

عند ما شفاه الله تعالى من مرض الشك، قصد في قلبه بأن يبحث عن الحقيقة، فوجد أنها لا محالة تكون لدى أحد ثلاثة: «المتكلمين»، أو «الباطنية» أو «الفلاسفة»، أو الصوفية.

وقد أخذ عنهم جميعاً، فبدأ بدراستهم مبتدئاً بعلم الكلام، ثم تصوف الفلسفة، ثم تعمق الباطنية، وأخيراً تعمق في دراسة التصوف [1]

٢ — كيف وثق من وجود الحق عند إحداها؟

ولكن مراده قصد بحثه عن أن تكون متقدماً كما ذكرنا، كما أنت وكما سيرى أنه

يريد أن يبحث عن الحق

( ) قد قصر البحث عنه في هؤلاء لأنه

ذلك لأنه لا يعرف سواه

ا) يعتقد أنه الحق لا محالة [2]

ذلك لأنه عرف ولا أن الحق الذي أعتنقه هو عند الصوفية لا غير، ولأنه يريد عمل مقدمات صوفية لتصحيح هذا

---

١ ... ص ١ ... ١٧ ...

(٢) ... ص ١٦ ...

ه) ولم يتطرق إلى ذهنه أنه قد يجد الحق محتبيا للكل، مهيئا إليه نفسه، وأسلوب خاص به. ومعبرا لأسلوب الجميع ذلك لأنه من أصل أنه يريد الحق عينه، فلا يبقى في دركه مصمم (١)

أنه حكم على نفسه بالعجز عن السلوك طريق الحق، غير الطريق الذي اختاره سواه"

فهو قد حدد لنفسه الطريق الذي يجب أن يسير فيه، والذي يهديه غيره"

إذا هو مقلد معتصم بالتلقينيات!

وهو حين يقلد يعلم ويجزم بأنه مقلد!

"ولا يريد إلا أن يقلد"

"هو واضح وفي غير حاجة إلى تعليق"

وهذا فهو يقول

٣ — دراسته علم الكلام وتزييفه

"بدأت بدراسة علم الكلام فعقلته وصنفت فيه، فصادفته علما وافيا بمقصوده، من حفظ عقيدة أهل السنة، وحراستها من شويش أهل البدعة

ولكن اعتمدت طائفة المتكلمين في ذلك على مقدمات تسلموها من خصومهم واضطروهم إلى تسليمها بما إما التقليد، أو إجماع الأمة، أو مجرد ما ثبت من الأخبار، أو القرآن

(١) المنقذ ص ١٦.

« ولكن هذا قليل النفع فى جنب من لا يسلم سوى الضروريات شيئاً أصلاً » ثم يقول بعد ذلك .

« ولهذا لم يكن الكلام فى حق كافيَ ، ولا لدائى الذى كنت أشكوه شافٍ »[1]

ثم « قد حصل لغيرى بسبب علم الكلام ، ما تقدم من صعوبات الحيرة ، ولكن كان حصولا مشوبا بالفساد فى بعض الأمور ، التى مست من الأوليات »[2]

ومعنى ذلك أن الغزالى بعد أن درس علم الكلام ، وقف عند أنه لم يجد الحقيقة التى يبتغيها فى ضالته ، ولم يرتشف زلال اليقين من بين شفاهه .

لماذا؟

لأن رجاله مقلدون !!

ب — ولأنهم يعيبون ورع إجماع الأمة الإسلامية

ج — ولأنهم يقللون أى القرآن لمجرد أنها من كلام الله

د — ولأنهم يتعصبون لأخبار محمد ، لمجرد أنها من حديث رسول الله

ما هذا؟

ثار الغزالى على التقليد ، ولم يعتبره مصدراً من مصادر اليقين !!

ثار الغزالى على إجماع الأمة لأنه لم يشف غلته ، ولم يأخذ

ا — ظهر ذلك فى كتاب محمد وحدث عنه ولده محمد

(١) « منقذ ص ١٩ » (٢) « منقذ ص ١٨ و ١٩ »

يده في شخصي الحقيقة و لإسم

ولن نقشه في هذين

ولكن

كيف نور على كتاب الله، وكلام محمد، فيركن كلام
الذي من نسمه القرآن و الحديث في حفه كاف، و لا داعه شافي

فهن من عرفان ... من ... الذي وقر في
صدره، الذي رجع النفس في عمه، و لذي عذب في الصرو نات
لعقله الحيا ... ، ... و فقه الله في قلبه

و من الله على قلب ... الذي جعل به لاسلام
ليس هو نفس الذي ... كلام من قرآنه، والذي
أعطى الناس جميع كتابه، فشمل فوق ... ليهديه
في الصراط السوي، و يدفعه عن صراط الحق، و يسمع عين

و الله الذي قذف ذلك النور في قلبه، نور به القرآن، و غير
إله المسلمين ... سيري

و هذا من ما كتبه في مقدمة عن ذلك النور فصولي يدخل ... نور القرآن
... هو ذلك النور الذي أراده بالمسلمين، عندما قال من يرد الله و فصوله
أن يهديه يشرح صدره الاسلام

ذلك النور، هو الذي أراده بالمسلمين عليه السلام، عندما سئل
عن معنى الشرح فقال

هو نور مخلوق في محل

بل ذلك النور الذي آمن به المؤمنون ، والذي يرجع إليه

يقين ، هو نور به مسلمين ، وبه محمد ، وبه المتقون

وهو ذلك النور الذي نزع من كتاب الله ، ومن كلام محمد ،

والذي عصم به المتكلمون

من وقوعهم في الحيرة ، ورفض ذلك

أن يكون هذا النور ذكره الصوفية وهو شيخهم ، وهو

هذا النور اعتصم به الكلابيون ، وهو ظاهر قوله تعالى

فهو قد فسر الحق هنا ، لأنه ليس ممن يعتقد فيهم شيعته ،

ورفض تفسير الحق هنا ، لأنه ليس ممن يعتقد فيهم أعداؤه

٦ وأخيرا ثم ، وأخيرا وهذا الذي قدمناه ، لا يمكننا أن نقول

بأن كل مصرح به المعتزلي هو من اعتزالهم ، الذي نحته عن الفرقة

الناجية ، وعن اليقين الذي نشده في علم الكلام ، وعن إنما هي

اعتزالهم كاعتزاله إلى قدميه بين يدي نظريه الشك سواء سواء .

أي أنه لم يفكر في هذا البحث ، ولم يطلب ذلك اليقين ، إلا

حين تدوينه تاريخ حياته في سنة

ولهذا ، يواتيه الفكر السليم ، والمنطق المستقيم ، في هذا

الموضع ، ولو واتته الألفاظ أرسالا ، وانهالت عليه الجمل انهيالا ،

مُستلبة من هنا ومن هناك ، في تناقض عجيب ، وتباين أعجب وأغرب !

ثم ، ولو . .

(١) (سقط من ١٤)

الباب الرابع

دراسة الغزالى الفلسفة وتسميه المتفلسفين

---

١ — تاريخ هذه الدراسة كما اعترف به الغزالى

[illegible]

ب — تحليل فقرة الاعترافات

[illegible]

دراسة العرالي الفلسفة وتدبير المتفلسفين

١ - موضع هذه الدراسة كما عرّف به العرالي

هذا من أهم ما عرّف الحق الذي نشده، والتقين الذي
رجيه. لا يوجد من آراء علم الكلام، ... بين هذه الفلسفة
الحسنة، ... منه حيث صحيحة أو غير

... أحد يحاول من هذه الفلسفة ... على فلسفة ... فسيب
سبب هذه الإساءة (١)

... على هذا النحو ... ذكر في كتب المتكلمين، من
رد على ... إنما هي كتب معدودة ومقدرة، تشتمل على
... فاسد (٢)

... أن هذه الفلسفة ... يجب على قاصد هذه
... هذه الفلسفة ... وكثرة من ... الإحاطة بحقيقة،
وتعرف ... وتفصيلها، حتى يتوفى أن لا يخلط شيئاً من
أصولها بأصول ... وغيرها، فتتصفح على ما هو صحيح عنده
في صاحب هذا العلم، ويتدرب ... ممكن أن يكون ما يدعيه من فساده
حقاً وصحيحاً (٣)

---

١ ... ص ٢٦١ ... ٢ ... ص ٢٦١ ... ٣ ... ص ٢٦٢

وعلم يقيناً كذلك : أن ردّ هذا المذهب — مذهب الفلسفة - قبل فهمه ، والاطلاع على كنهه ، ربيٌ في غماية.[1]

وعلم أخيراً أنه لم يوجد أحد من علماء الإسلام صرف همته وعنايته إلى ذلك[2]

٢ — كيف درس الفلسفة ومن أين وكم وماذا رأى وناقش منهم ؟

بعد أن أمعن النظر إلى كل ما تقدم بحثت فلا

وشمرت عن ساعد الجد ، في تحصيل ذلك العلم ، من الكتب بمجرد المطالعة ومن غير استعانة بأستاذ

وكان ذلك في أوقات فراغي من التصنيف ، والتدريس ، في علوم الشريعة وكنت مثابراً على التدريس ، والإفادة لثلاثمائة نفر من الطلبة .

وكان ذلك ببغداد .

فأتممت الله بمجرد المطالعة في هذه الأوقات خمسة علوم منها علومهم في أقل من سنتين

وبقيت بعدها مواظباً على التفكير في ذلك العلم بعد فهمه ، فربما من سنة أخرى ، أعاوده وأردده ، وأتفقد عوائده وأطواره ، حتى اطلعت على ما فيه من خداع وتلبيس ، وتحقيق وتخييل ، اطلاعاً لم أشك فيه

وأخيراً آمنت بأنهم مع كثرة ، أصنافهم يلزمهم سمة الكفر والإلحاد ، حيث أن الكل مخالف للحق الذي يشهد ، بعيد عن

(١) ... المنقذ ص ٢١ ، ٢٢ . (٢) ... المنقذ ص ٢١ ، ٢٢ .

الإنسان الذي يبحث عنه ، وإن تفاوت الأوائل والأواخر ، في القرب منه والبعد عنه »[1]

إلى هنا انتهت حكاية الغزالي عن الفلسفة

لم درسها ؟ وكيف ؟

ومتى وأين ؟

وكم ؟ وعلى من ؟

وماذا رأى ؟

وغدا حكم عليه وعلى الفلاسفة أجمعين

هذه قصة فلسفته ، وتلك اعترافاته عنها

ما نصيب من الحق ، وما نصيبه من الواقع

هذا ما سنتحدث عنه الآن فيما

هل درس الغزالي فلسفة اليونان على الحقيقة ؟ ودرسها ليهدمها

---

(١) المنقذ ص ٢١ و ٢٢ .

ب — تحليل هذه الاعترافات

٣ — هل درس الغزالي الفلسفة ليعثر على الحقيقة — فيمكننا بحثه فيما يأتي

فأما ما يؤيد النظرية الأولى وهي أن الغزالي درس الفلسفة

الغزالي أعلن مرارا وتكرارا أنه في هذه الحولة الدراسية، لم يدرس علم الكلام وبحث الفلسفة وغيرها من العلوم، إنما هو باحث عن الحقيقة[1]

وأنه بحث الفلسفة ليعرف ما هو غرورها وقصورها وضلالها من الناحية الدينية[2]

وأنه بحث عن الحق والحقيقة[3]

وبما أنه قد ثبت في بداية علم الكلام أن الغزالي لم يدرس الفلسفة حتى يبحث عن الحقيقة[4]

وهذا ما أكده "De Boer" في قوله هذه بدون مناقشة قائلا

الغزالي درس الفلسفة ليجد طريقا للخروج من الشكوك التي أحاطت به، وأنه لم يجد في الفلسفة ما يرضيه، ولا يحقق حقيقة لنفسه[5]

هذا ما قاله الغزالي، وهذا ما وقع فيه "De Boer" وهي

(١) (المقدمة ص ١٣) (٢) (المقدمة ص ٧)

(٣) (المقدمة ص ٥) (٤) (المقدمة ص ٢ و ٣)

(٥) T. J. de Boer in Geschichte der Philosophie im Islam 1901 pa. 138-150

كليات عامة . وجمل غير محدودة

وأما النظرية الثالثة وهي إن العراق درس الفلسفة ليهدمها .

: — أو درس فلسفة ليهدمها

فإنه بعد أن قرأ ما عندهم ، الاحظ

أنه في مقدمة مقاصد الفلاسفة « وهو الكتاب الذي ألفه قبل التهافت ، والذي ألفهم فيه أن ذلك معداد للعزلة والخلوة » يقول

« إني تتبعت كلام هؤلاء في الكشف عن تهافت الفلاسفة ، وتفاصيل آرائهم ، وفرزت فيما بين بعضهم من بعض كلاما وحيرا ، مشتملا على حكاية مذاهبهم ، على غير ترتيب الحق والباطل ، وأوردته على سبيل حكاية مقرونة بما هو المختار من أدلتهم »

وهذا كما ترى لم يرد في هذا الغرض ، شيئا في ذلك الخروج

ب — والاحظ أنه يؤكد في التهافت ، أنه درسها بتعمق وتعمق ، وأنه لها فكر الفلاسفة ، والتشوش عليهم ، وتناقض آرائهم ، وأنه قد في رد بعضها لأولى

« وحيث أشرع في هذا الكتاب لا أكتب مذهبهم ، وأعبر في وجوه أدلتهم عما يتراءى لي ، وإنما أقصد للذب عن مذهب معين ، فبذلك لا أخرج عن مقصود الكتاب ، إذ غرضي إفحام دعواهم ، لا إثبات المذهب الحق ، فسيتضح فيه كتاب بعد الفراغ من هذا إن ساعد التوفيق إن شاء الله ، وسنسميه « قواعد

لعقائد» ويعتني فيه بالإثبات كما عنيت في هذا الكتاب بالهدم»[1]

ج - وأنه قال أيضا في مقدمة التهافت بالقسم الثالث «وذلك أني لا أدخل في الاعتراض عليهم «الفلاسفة» إلا دخول معترف منكر. لا دخول متبع مقلد، فأحكي عنهم ما اعتقدوه مقطوعا به[2]»

وقال أيضا في نهاية مسألة — من مسائلهم أن الله تعالى يعلم الكليات دون الجزئيات

«فإن قال قائل ولم تعديتهم بهذه المسألة، ولم تخصها بالتكفير دون غيرها من المسائل التي خالفوا فيها الحق؟ فجوابه أن هذه المسألة[3]

ولكن قد نبهنا من بعد

أنه إنما «الفلاسفة» كفرت من حيث إنها وجدت حقا يناقض مذاهبهم، فأرادت أن تعرف أنه كيف السبيل إلى دفعه؟ فإنها رأته مناقضا لكلامها، ورأت معارضه له حقا، ولكن في بعض المذاهب التي هي من أقوال الأوائل، وتصانيفهم، كما في كثير من المتكلمين

هذا قد نبهنا عليه في مواضع

وصرح به في مواضع من تهافته في كثير من المتكلمين، الذين نقلوا الفلسفة إلى قولهم كلاما مبتدعا مبتدعا، ظاهره متناقض وفساد

---

(1) تهافت ص ٢ ... طبعة ... سنة ١٣١٩ هـ

(2) ... ص ٥ ... (3) ... ص ٢٢٠

ولأنه عندما بدأ تدريس فى سنة ٤٨٤ هـ بنظامية بغداد للعلوم الشرعية والأصولية والكلامية ، أحس بأنه مطالب لأنه من المتكلمين لمدرس ، ولأنه سيذ ذلك النطق المفقود ، نظر علم الكلام ، ورحله الفذ – أمام الحرمين – أحس بأنه مطالب بسد هذا النقص ، وبرحلة هذا التجديد والتناقض فى حجج المتكلمين ، الذين ادعوا على الفلسفة وتدوهم ، بل حجج سليمة ، وبراهين واضحة مستقيمة ، فقام بمجهودات ثلاثة

أولا مجهوده فى محض من سنة هـ عيد إلى سنة هـ استغرقت خمس ، وختمها وتفرغ ، وكان بعد هذا التدريس كتابه تهافت الفلاسفة فى أواخر سنة ٤٨٩ هـ

ثانيا مجهوده فى تدريس

وهو ما قام به فى كتابه ... فى ... وعده فى مقدمة ... أن تعهود من ... كما فى هو التشويش على ... وتفسيره ، والذى ... وأن ... لأنه لا يعرف ، وكان ذلك فى ... سنة ٤٨٨ وكان ... سنة ٣٨ سنة ، أى فى أثناء خروجه من بغداد لتعزيته ... نحو أحد عشر شهرا لأنه خرج فى ذى القعدة سنة ٤٨٨ ... وفى أثناء ذلك لأنه النفسية ، التى خرج على أثرها من بغداد ، نحو خمسة أشهر ، حتى أولها كان فى سنة ٤٨٨ هـ وهذا يخالف ما ذكره De Boer

---

(١) ... ص ٢٠ و ٣٢ ...

من ثلاثة أمور هي محل خروجه من هذه الثلاثة[1]

ثالثاً: محمود قدري بك

وهذا موضوع يهم كل من يهتم بالفلسفة ويكثر من مراجعة ما يؤلف فيها، لكثرة ما يقع فيه من الأغلاط في كل مسائل هذا العلم على اختلاف فروعه وتفصيلها، وسببه هو عدم الاستعداد، وقد قدمنا هذا السبب مراراً، وهو هو عدم الاستعداد، وقد كان الخطأ الذي وقع فيه محمود قدري بك في تحديد محل خروجه من هذه الثلاثة،

د

هذا هو التحقيق الذي يجب أن يعرفه كل من يريد أن يتعلم الفلسفة، وأن يتمرن على التفكير الصحيح، وأن يتجنب الوقوع في الأغلاط التي وقع فيها كثير من الذين كتبوا في هذا العلم قبله، كما قال هو نفسه، واعترف بذلك في كتابه هذا كما أثبت، وكذلك في التهافت أيضاً

٩ - هذا أول بحث الفلسفة وموضوعها

فالأحق أن يكون هو المتكلم، الذي عرف كيف يعالج الأمور ويصرفها، فيسكت الفلاسفة، ويخرس ألسنتهم، ويحمد شغبهم، حتى يكون جديراً أن يصح صانع الفلسفة، وهذه الفلسفة

(١) تاريخ الفلسفة الإسلامية ص ١٢٨ De Boer

٢ - أما الموضوع الذي أشرنا إليه في التهافت وهي (أن بعض الفلاسفة قالوا في أزلية العالم

ولهذا عده في حياته يقول إنه ألف هذا الكتاب « قواعد العقائد » الذي ذكره في نهايته والذي هو الحلقة الختامية لمجهوده الفسيح

يقول « به تعلم ما عقده في فقه أهل السنة (الأشعرية) عن السلف »

مع ملاحظة أنه ليس كل ما في مجهوده الفسيح يدرجه في العراق يصرح أنه

« لا يمكن أن يقع كل ما هنا إلا لعوام من سدد تعصبهم ما الذي يعرف شيئا من علم الكلام فضلا عن هذا »[1]

وبعد هذا لا يمكن أن نجزم بأن الأوان قد آن لدراسة عقيدته في المقدار الذي صرح به حسبما يكون قد وقع عليه نظرنا

الشق الأول أنه لم يستهدف دراسة علم الكلام، بحثا عن الحق الصريح، وتحريرا له بالأدلة، وهذا أمر لا غبار عليه، ولا مطمع

الشق الثاني من دراسته عقيدته ومذهبه، وسعة تحصيله، وبعد النقص الذي وقف عنده على يد الكلموني، فصحح هذه الفلاسفة، وجعله لا يتفق وهذا ما يتفق مع الحق الصريح، والواقع الذي لا ريب فيه

فتلك أوفى من هذه الحيثية تصحيح ولو لم يرض به بعض كبار المستشرقين[2]

---

(١) العدد ٣٦ من مجلة نور الإسلام

(٢) يرجع في هذا الصدد إلى بحث قيم للأستاذ محمد عبد الله عنان في مجلة الرسالة سنة ١٩٣٥ ص ٩٨٤

الباب الخامس

مجادلة الغزالي مذهب التعليمية

١ [illegible]
٢ [illegible]
٣ [illegible]
[illegible]
٥ [illegible]
٦ [illegible]
٧ — [illegible]
٨ [illegible]
٩ [illegible]
١٠ [illegible]
[illegible]
— [illegible]
[illegible]
١٢ [illegible]
١٣ [illegible]
١٤ [illegible]
١٥ — [illegible]
١٦ [illegible]
١٧ [illegible]
١٨ [illegible]
١٩ — [illegible]
[illegible]
٢٠ [illegible]
٢١ — [illegible]
[illegible]

مجادلة الغزالي لمذهب التعليمية

[illegible] الغزالي كما [illegible] جميع
موسوعيون [illegible] والاحاد [illegible] الحق الذي [illegible] به، و[illegible]
الذي [illegible] عند [illegible] عن الأرض

و[illegible] من [illegible] عن [illegible] و[illegible]،

و[illegible] [illegible] لإحاطته بكل شيء، ولا [illegible]
للفظ [illegible] جميع [illegible] [2]».

[illegible] من كل ذلك، [illegible] بدين بأسبقية دراسته لمذهب التعليمية قائلا

[illegible] وكان حينئذ قد [illegible] التعليمية، وشاع بين الخلق تخديمهم بمعرفة الأمور، من جهة الإمام المعصوم، [illegible] ثم بالحق أي لا من جهة القرآن والسنة والعقل. فعزمت أن أبحث عن مقالاتهم، لأطلع على ما في كنتهم» [3].

وقد [illegible] على [illegible] من حصره الخلافة، تصنيف كتاب يكشف حقيقة مذهبهم، فلم تسعفني مدافعته، وصار ذلك مستحثاً من جرح، حمية للباعث الأصلي من الباطن» [4].

(١) «مقدمة» ٣٣ و ٤٣ (٢) «مقدمة» ٤٤ و ٤٥
(٣) «مقدمة» ٤٥ (٤) «مقدمة» ٤٦

٢ — من أين درسها وعرفها ؟

يقول أيضاً :

« فابتدأت بعلم كتبهم وجمع مقالاتهم[1].

وكان قد يبقى بعض كلامهم المستحدثة ، التي ولدتها خواطر أهل العصر ، لا على المنهاج المعهود من سلفهم[2]

وكنت قد سمعت تلك الشبه من واحد من أصحابي المختلفين إليّ ، بعد أن كان قد التحق بهم ، وانتحل مذهبهم »[3]

٣ — كيف درسها ؟

« ولهذا جمعت تلك الكلمات ورتبتها ترتيباً محكماً مقارباً للتحقيق

واستوفيت الجواب عنها استيفاء ، لكرهه على بعض أهل الحق ، لأني أبالغ في تقرير حجتهم .

ولكني اضطررت إلى ذلك ، لأن هذا الصاحب السابق المختلف إليّ ، حكى أنهم يضحكون على تضعيف المصنفين في الرد عليهم ، مع أنهم لم يفهموا حقيقة حجتهم

فلم أرض لنفسي . أن أقصر في عقلة عن نصر حجتهم ، فلذلك أوردتها ، ولأني بصير في بأس فهمها ، ولذلك فررتها[4] »

٤ — الفلسفة والطبيعة

وأخيراً يأخذ الغزالي هنا — في المنقذ — في مناقشتهم قاصراً دلك على فكرة الإمام المعصوم مبيناً أنه رد عليهم في كتب منها :

(١) « منقذ ص ٤٥ » .
(٢) « منقذ ص ٤٥ » .
(٣) « منقذ ص ٤٦ » .
(٤) « منقذ ص ٤٥ ، ٤٦ » .

المستظهرى (فصاحة لغوية)، وحجة الحق، ومفصل الخلاف، والمزح المرقوم بالحداول، والقسطاس[1].

وينهى العراق إلى هذه النتيجة، التى يرددها دائما فى مؤلفاته كل بحث له، وهى أن هؤلاء ليس معهم شىء من الشفاء، المنجى من ظلمات الآراء[2]:

فالحق الذى يبحث عنه، ليس فى إمامهم

والمنقذ الذى يرجوه، لا يوجد فى معصومهم.

٥ — سبب عجز العراق فى دراسته وعدم نجاحه التعليمية

وكما رأيت يدلى العراق فى مقدمة سبيل لوضعه دراسة التعليمية، ضمن الحوله الدراسيه، التى قام بها للبحث عن الحقيقة، فأصبحت هى المرحلة الثالثة فى هذه الحولة، وهى:

١ — إنه عن له أن يبحث عن مقالاتهم، ليطلع على ما فى كتبهم، فهو لديه باعث «باعثى علمى».

٢ — وربما أن الحق قد ورد عليه أمر عام من الخلافة، بتصنيف كتاب يكشف حقيقة مذهبهم، لما شاع عنه مخالفته، فأصبح عنده «باعث خارجى».

فهل نصدق السببين معا أو أحدهما؟

وإذا كان فما هو؟

٦ — مقدمة فضائح الباطنية

هذا ما سآخذ بيدك لتلمسه الآن، عندما تقرأ أول كتاب ألفه

---

(١) «منقذ ص ٤٠».

(٢) «منقذ ص ٤٥».

فى الرد عليهم ، وهو فصل الخطاب المستظهرى — الذى صماه باسم الخدمة المستظهرية لله ، وكان دعاية له وللخلافة العباسية ، دعاية حارة قوية ، لم يعهدها اليوم فى تأييد المذاهب السياسية ، وتفنيد الآراء المعارضة !

وسأنقل إليك مقدمته بنصها وفصها ، لتشتم منها بل تلمس بالحس الحقيقى ، الدين دفعه للجلاد والنضال ضد التعليمية ، هو الوحيد الذى لم يذكر سواه ، لأنه هو الحق والواقع الذى لا ريب فيه

تقول « تحيط على هذه العلوم

« أما بعد »[1]

٧ — شوق الغزالى لخدمة المستظهر بالله بتصنيف كتاب فى علم الدين

« فإنى لم أزل مدة مقامى ، مديد السلام ، متشوقاً إلى أن أخدم المواقف المقدسة المنيرة ، الأمامية المستظهرية ، ضاعف الله جلالها ، ومد على ملتقى الخلق ظلالها ، بتصنيف فى علم الدين »

٨ — الأمر الدينى الذى يطمع فيه الغزالى

« أقضى به شكر النعمة ، وأقيم به رسم الخدمة ، فأحتى بما أنعاطاه من الكلمة ، ثمار القربة والزلفى »

٩ — تخير الغزالى فى اختيار العلم الذى يريده الخليفة

« ولكنى احتجت إلى التوانى ، لتخصيص الفن الذى يقع

(١) ص ٢١ من فصائح الباطنية لسابق الذكر طبعة بغداد سنة ١٩١٦ .

موقع الرضا من الرأى السوى الشريف ، فكانت هذه الحيرة تغير فى وجه المراد ، وتمنع القريحة من الانعمال والانقياد »

١٠ أمر الخليفة للامرائى بتصنيف كتاب فى الرد على الباطنية

« حتى خرجت الأوامر الشريفة ، المقدسة السنوية المستظهرية ، بالإشارة إلى الحاضرين بتصنيف كتاب فى الرد على الباطنية »

١١ المستظهر بالله يجرد السنائح وعلى امرائى تحلكة المفرمات !

« على أن يشتمل الرد

الكشف عن بدعتهم وضلالتهم ، وتمويه مكرهم واحتيالهم ، ووجه استدراجهم عوام الخلق وجهالهم ، وإيضاح عوارهم فى تلبيسهم وخداعهم ، وانسلالهم من ربقة الإسلام وانسلاخهم وانخلاعهم ، وإبراز فضائحهم وقبائحهم

١٢ — خروج الامرائى من عبرة المشورة على ضلالة

« فكانت المفاتحة بالاستخدام فى هذا العمر ، فى الصغر نعمة أحاطت قبل الدعاء ، ولبيت قبل النداء » حبتنى ولبنى »

وإن كانت فى الحقيقة ضلالة كنت أشدها ، ونعمة كنت أفقدها فرأيت الامتثال حتما ، والمسارعة إلى الانتظام حزما

١٣ — طاعة أولى الأمر أوجب

« وكيف لا أسارع إليه » : وأن لا أحظى جانب الآمر ، أتقيه

أمر، مبلغه زعيم الأمة شرف الدين، ومنشئه ملاذ الأمم أمير المؤمنين، وموجب طاعته خالق الخلق رب العالمين. إذ قال تعالى:

« وأطيعوا الله، وأطيعوا الرسول، وأولى الأمر منكم »

١٤ — والذب عن الدين ثانياً

« وإن التفت إلى مأموره، فهو ذب عن الحق نفسه، وفصل دون حجة الدين، وقطع لدابر الملحدين »

١٥ — والمجرى وراء الشهرة والشرف ثالثاً

« وإن رجعت إلى نفسي، فقد شرفت بالخطاب به من بين سائر العالمين »

١٦ — السر والباعث من ظهور الضلال

لا زال العراق محدثاً قائلاً

« وأخيراً تحتم هذا السكوت، فهو السر والباعث، وهو إقامة الله الحجة الشرعية، على صحة الإمامة للمواقف القدسية، السوية المستقيمة، الموجب الأدلة العقلية والنقلية »

١٧ — المعالي واضحة والمقصود أوضح

بعد ذلك أدعاك التحكيم والتحكيم

هل نجح العراق في تعميمه، كما أراد أن يوهم في عتراته، ليعثر على الحقيقة، ضالته المنشودة، فمعتصم بالبقين

فهو في هذا بحث عن الحق، مصارع للباطل

و لأنه دعى إلى الكلام، وكتب، وفي الحالات كلها، وفي الدفاع عن الحق، فإنه تقدمت

١٨ ... عن يكون أن عمل في حقيقة في اعتراف مراقي لاحظ كما سبق أن المرء قد في نقد

... الإمام أمره ... تصنيف كان يكشف حقيقة مذهب المعتزلة

في مناقشة آرائهم، وفي مذهبهم، وهل هو خطأ وصواب؟ كما يتضح ذلك هذه الخطة

ومن الطبيعي أن يكون مقصود الخطيب هو الرد عليهم، وتسفيه آرائهم، وفي هذا يساعده عنوانه، لأن من البدهي أن الإمام يريد كتابه، أن يثبت خلافه للمعتزلة والزيدية، ولا يكون هذا إلا بتهديم آراء المعتزلة

... والكتاب يثبت ذلك وصرحه، ما قاله المراوي في مقدمة فصائح الباطنية، من أنه ... تصنيف كتاب في الرد على الباطنية» ... وحدد له الخطيب موضوعات، التي سيعمل على إثباتها وهي

الأمر واحد

والواقعة واحدة

والمتحدث واحد

ولكن رواية الألفاظ، ومعانيها، ومقاصدها، بحقيقة تامة صحيحة، ومتباينة كل المباينة!

أما أي الأمرين يجب أن نصدق؟

هل الأمر الأول، وهو أنه «أمر بتصنيف كتاب يكشف حقيقة مذهبهم» فيتناسب مع ما هو مفهوم في المقدمة، من أنه درس التعليمية يبحث فيه عن الحق، وليعثر على الحقيقة

أو الأمر الثاني وهو أنه «أمر بتصنيف كتاب في الرد على الباطنية» فيتناسب مع تصريحه في مقدمة كتابه المستظهري، وأمر الخليفة نفسه

نعم إني أعتقد أن الوجه الثاني هو الأقرب إلى الحق، ودلك لأسباب أهمها

أولا — أقرب هذا التصريح من الحادثة زمنيا، فهو ذاكر ومعاين

ثانيا — لإدماجه في المقدمة التي سيطلع عليها الخليفة، في الكتاب الذي من أجله، مما يدل على أنه مطابق تمام المطابقة للأمر الصادر منه

ثالثا — مطابقته وملاءمته، وانسجامه مع الظروف التي حكاها في مقدمة كتابه.

رابعا — تحديد الأمر المستظهري، الموضوعات التي يجب أن يتناولها المؤلف، والتي تؤكد أنه أراد الرد والتفنيد والمناقضة،

١٩ — ج في عقائد

لا كشف وجه الحق والصواب، أيا اتفق: شأن الباحث الحر، والمفكر الطليق.

٢٠ — السؤال لا ورود فيها

بعد هذا ألا يمكننا أن نقول.

أ — إن العراقي قال الحقيقة هنا - في المستطهري - ولم يمكنه احتواؤها تماما هنا - في النقد - حيث أشير إليه من طرف خفي، لأنه يريد أن يُظهر الواقع، فيروي الصدق، ويراد للحقيقة قرنا بإصهار طاعته، وسرعة تلبيته

ويريد أن يُرى العامة، أنه الرجل الوحيد، الذي لجأ إليه الحقيقة، ليق سلطانه كيد الكائدين، وليس دعامة لسلطين

ب - وأن نقول أيضا إنه أخفى الحقيقة (بقدر المستطاع) هنا — في النقد — لأنه يريد أن يصور مظهر الباحث عن الحق، والجاري وراء الحقيقة.

فيقتضيا بأن الحق ضالته أينما كان، والحقيقة مصدة أينما وجدت، سيما أنه الآن يؤرخ حياته لمفكريه، ليجدها بين المفكرين، ويدافع عن نفسه العلمية، «التي شرفت بالخطاب من بين سائر العالمين[1]».

إذاً فليتحدث عن نفسه هنا وفي النقد، لا كما كان، ولكن كما كان يجب أن يكون!!

بعد هذا نعيد السؤال السابق وهو:

هل يمكن أن يخفي العراقي الحقيقة؟

(١) «مقدمة فضائح الباطنية» ص ٢١.

ونحن متأكدون من أنك ستجيب عليه بعد الذى تقدم .

هل اختفاء الحقيقة فى اعترافات الغزالى كان قصدا ؟ ؟

ولكن هل اختفاء الحقيقة فى اعترافات الغزالى كان قصدا ؟ ؟ وهل هذا الاختفاء إذا يقدح فى الأمانة العلمية للغزالى ؟ ؟

وهذا ما سنتحدث الآن فيه

نعم ، إن لمسا سابقا ، أن الحقيقة اختفت فى اعترافات الغزالى ؛ ما فى ذلك شك

ولكن هذا لا يكون اختفاؤها مقصورا لأحد أمرين

أولا — زلت قلمه ، فلم تواته الألفاظ التى أرادها ، لتعبر عن الحقيقة ، أى أنه أراد معنى ، وأرادت الألفاظ سواه ... إلى غير ذلك من الاعتبارات اللغوية

وهذا طبعا ما نجل عنه شعر قارىء العربية ، بل أقل كاتب ، فضلا عن الغزالى ، صاحب الأسلوب الفحل ، واللفظ الذى لا يضارع ، فهو يعنى ما يقصد ، ولا يعنى بمعنى أى حال من الأحوال ، لأنه هو القائل عندما تحدث عن لغته وتراكيبه .

« إلى قصد المعنى وتحقيقه ، دون الألفاظ وتلفيقها »

ثانيا — أو أنه هى الحقيقة ذاتها ، فكتب ما كتب فى المنقذ معتقدا أنه الصدق .

ولكن هنا فى المنقذ « وفى المنقذ لا غير » شواهد وشواهد ، تدل على أنه ذاكر للحق ، متسقط للواقع ، ومن ذلك :

ذكره أولا أنه درس وكتب عن التعليمية ، كأحد المذاهب التي بحث فيها ، عنه عبر بها حتى على الحق ، أى أنه يريد أن يؤكد : أنه لم يبحث ويتعقب ما دفع من السنصاص ، بل دفع من نفسه ، لبعثه على حقيقة

ذكره ثانيا أنه عن له أن يبحث فى مقالاتهم ، أى أنه يريد أن يؤكد لنا أنه لم يؤمر بذلك ، بل عن له ذلك من نفسه

ذكره ثالثا — أنه اتفق أن صدر به أمر حازم ، فلم يسعه مدافعته

أى أنه يريد أن يذكر للذى وقع ، متيقظ للذى حدث ، وهو أنه أمر بذلك ، وما وجد أنه لا يمكنه إخفاؤه قط ، أراد أن يفهمنا أنه كان لديه باعث داخلى ، وافق باعثا خارجيا ، وهو أمر سلطانى ، اتفق مصادفة ؛ مع أمر سلطانى

وأخيرا اختياره لفظ ذا وجهين ، وهو « أنه أمر بتصنيف كتاب يكشف حقيقة مذهبهم » وذلك حتى يتلاءم مع ما أراد أن يفهمنا إياه ، من أنه درسها كباحث عن الحق ، وكمنقب عن الحقيقة ، وحتى يتلاءم أيضا مع الحق والواقع ، الذى لا يمكنه إخفاؤه ، وهو أنه درسها ، لأمر حازم من السنصاص ، لم يمكنه مدافعته

ومن الغريب أننا فى مقدمة « مقدمة المستظهرى » ، نلمس صراحة قوية فى التعبير عن غرضه المقصود ، وهو نفى

الثاني، وعن لذاته الخارجي، مما عداه" بحيث لا يمكن أن يتلاءم معه شيء لذاته الخاص أن يؤول أو يخرج، وعن أية صورة من الصور، أو أية حالة من الحالات

مذهب التأييد المؤيد، وعن وجوب من ذلك ستحب عليه، بدون عناء أو تعسف، وهم

هل اختفاء جثة في غارات العراق كان قصدا

وهل هذا الاختفاء قد كان قصدا، عدح في الأمة عليه للعراق

الباب السادس

١ — اعترافات الغزالي الصوفية

أو لماذا اعتزل نشر العلم ببغداد وعاد إلى نشره بنيسابور ؟

١ — [illegible]

٢ — [illegible]

٣ — [illegible]

٤ — [illegible]

٥ — [illegible]

٦ — [illegible]

٧ — [illegible]

٨ — [illegible]

٩ — [illegible]

١٠ — [illegible]

١١ — [illegible]

١٢ — دمشق موطن العزلة والهدوء

١٣ — سير القافلة إلى الحجاز على بركة الله

١٤ — [illegible]

١٥ — [illegible]

١٦ — صوفية ومشكلة [illegible]

١٧ — [illegible] طريق الصوفية

١٨ — [illegible]

١٩ — [illegible]

٢٠ — [illegible]

٢١ — [illegible]

٢٢ — [illegible]

٢٣ — [illegible]

٢٤ — [illegible]

٢٥ — كما ... عليه ... دعوه ... عرة ... حدوة .

٢٦ — سؤ ... بن ... ور

٢٧ — بن ... عربي ... وشعره .

٢٨ — ... بن ... وما ...

٢٩ — عربيه من ... و ... من ... د

٣٠ — ...

ب — كشف النقاب عما قالت ، وتصويب لما أخطأت

٣١ — ... كان ... شد ؟

٣٢ — ... على ... ث و ... ين

٣٣ — ... رأس ... على ... ام ؟

٣٤ — ... د ... س ... ة ... د ؟

٣٥ — ... ر ... ه

٣٦ — ... ر ... ضيه ؟

٣٧ — ... د ... ل ... صوفة ؟

٣٨ — ... ن ... ن ... ه و ... ه

٣٩ — ... و ... د ... ن ... ن ... ظاهر و ... ض

٤٠ — ... ن ... و ... صوفة ... صوفة ... صوفة

٤١ — ... ن ... ض ... كم ... ق ... ه

٤٢ — ... د ... لإصلاح ... م ؟

جـ — قصة العراق الصوفية ، كما هي الحق والواقع

٤٣ — ... لم ... سمى ... أوس

٤٤ — ... عرض ... ن ... ه والحلوة ، ... ه ... ؟ أو أبو ... ن ... ؟

٤٥ — ... ، ... ، ... ، والعلاق ، ... ق ... قبل ... ؟

٤٦ — ... شرعه ... ه ... ير ... ؟ هكذا ... العراق ؟

٤٧ — ... العراق من ... أعماله ، ... الشهرة و ...

٤٨ — العراق ... حكم ... ، ... حلا ، و ... أخرى

٤٩ — ... ق ... ظل ... العراق .

٥٠ — ... مكثه ... سة ... ر .

٥١ — أسر ... ، وسر ... ، فظيعه ... .

٥٢ — كيف يمكن [illegible] في [illegible] ؟
أو [illegible] الأهل و[illegible]
[illegible] ؟

٥٣ — كيف [illegible] على [illegible] ؟

٥٤ — [illegible]

٥٥ — [illegible]

٥٦ — [illegible]

٥٧ — [illegible] ؟

٥٨ — [illegible] على [illegible] ؟

٥٩ — [illegible]

٦٠ — [illegible] ؟

٦١ — [illegible]

٦٢ — [illegible]

٦٣ — [illegible] ؟

٦٤ — [illegible]

٦٥ — [illegible] ؟

٦٦ — [illegible] ؟

٦٧ — [illegible] ؟

٥ — ماذا بعد الخلوة والعزلة ؟

هل الانخراط في سلك الصوفية مرغوب فيه ؟

أو الرجوع الى التدريس المرغوب عنه ؟

٦٨ — [illegible]

٦٩ — [illegible]

٧٠ — [illegible]

٧١ — [illegible]

٧٢ — [illegible]

٧٣ — تشابه في التفكير ، بين خروج الغزالي من بغداد وتركه التدريس ، وبين رجوعه بعد [illegible] وعوده الى التدريس .

٧٤ — [illegible] ؟

٧٥ — [illegible]

٧٦ — باسم الله مجراها ومرساها .

١ — اعتزالات العراقى الصوفية كما سطرها سعد

أو

لماذا اعتزل سر العلم والناس بغداد وعاد الى دلاك يبيع الزيت ؟

بعد أن حير العراقى حال التعليمية ، نفض اليد عنهم ، لأنه لم يعثر على بغيته فى واديهم[1] ولهذا يقول بعد ذلك

« أقبلت بهمتى على طرق الصوفية ، وقد علمت أن معرفة طريقتهم ، لا تتم إلا بعلم وعمل[2] » .

١ — كيف درس العراقى علم الصوفية وحصله ؟

أما تحصيل العلم . فكان يسير عليه من العمل ، إذ بدأ تحصيله من مطالعة كتبهم ، مثل قوت القلوب المكى ، ومثل كتب المحاسبى ، والجنيدى ، والشبلى ، والسراج ، وغيرهم[3]

فاطلع على كنه مقاصدهم العلمية ، وحصّل ما يمكن أن يحصله ، عن طريق التعلم والسماع[4] .

٢ — لم اضطر أن يحرم نفسه عملها ؟

أما العمل فقد ظهر له .

أولا — « أن أخص حواسهم ، لا يمكن الوصول إليه إلا بالذوق ،

---

(١) « سعد ٥٧ »
(٢) « سعد ص ٥٨ »
(٣) « سعد ص ٥٩ »
(٤) « سعد ص ٦٠ »

والحال وتبدل الصفات ، فهم تيه أربعة أحوال ، لا تخلو
أحوال »[1]

وظهر له ثانيا أيضا

« أن لا مطمع له فى سعادة الآخرة إلا بعون ، وكف
النفس عن الهوى ، وقمع رأس ذلك كله ، فصح له الهرب عن
الدنيا ، والبعد فى عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود ، والإقبال
بكنه الهمة على الله تعالى »[2].

وظهر له ثالثا أيضا

« أن ذلك كله لا يتم إلا بالإعراض عن الجاه ، والمال ، والهرب
من الشواغل ، والعلائق »[3]

وبعد أن أكد الغزالى لنفسه أحد [illegible] ملاحظة
[illegible] — فى « الإحياء »

أحواله : « فوجد نفسه وقد انغمس فى العلائق ، وقد أحدقت
به من كل جانب[4] » .

أما أعماله : « وأحسنها التدريس والتعليم ، فوجد نفسه وقد
اشتغل على التدريس و تعليم علوم غير مهمة ، وغير نافعة فى طريق
الآخرة[5] »

أما نيته فى التدريس « فوجدها غير خالصة لوجه الله ، بل

(١) « المنقذ » ص ٩٦ ، ٩٧ .
(٢) « المنقذ » ص ٩٢ .
(٣) « المنقذ » ص ٩٢ .
(٤) « المنقذ » ص ٩٢ ، ٩٣ .
(٥) « المنقذ » ص ٩٣ .

باعثها ومحركها طلبُ الجاه، وانتشار الصيت[1] ».

٤ ـ الفرد على شفا جرف هار

وهنا نتقن « أنه على شفا جرف هار، وأنه قد أشفى على الدمار، إن لم يسرع ويشتغل بتلافى هذه الأسباب، والأحوال[1] »

٥ ـ وجوب الجهاد فى التفكير، وحرية فى العمل

أخذ الغزالى بعد هذا فى التفكير مدة من الزمن، تفكير المختار لا تفكير المضطر[1]، وها نقول

« صمم على الخروج من بغداد، ومفارقة تلك الأحوال، أقدم رجلا وأؤخر أخرى، لا تصفو نفسى رغبة فى طلب الآخرة كرها، إلا وتحمل عليها حدة الشهوة حملة فتفترها عشية[1] »

وعادت شهوات الدنيا، تحدثنى بسلاسلها فى نفسى، وتناديني الإلف بنادى الرحيل الرحيل! فلا يبقى من العمر إلا أمس، وبين يدى السفر الطويل! وجميع ما أنت فيه من علم وعمل رياء وتخييل[1] ».

فهل تستعد الآن للآخرة التى تستعد

وإن لم تقطع الآن التى تقطع؟

وأخيرا استمعت الداعية، وبحزم العزم على الهرب والفرار[1]!

٦ ـ وساوس الشيطان، وأمانى النفس، وخوف العاقبة

ولكن الشيطان يعاوده ويقول

« هذه حالة عارضة، وخيال من مطاوعتها، فهى سريعة الزوال، وأنت مدعن لها، وتركت هذا الجاه العريض، والشأن المفهوم،

(١) « منقذ ص ٦٣ »

الخالي عن التكدير والتنغيص، والأمر لسيدي في عن مسارعة الخصوم، وإغاثة من التجأت إليه منك، ولا تتعرك لمعاودته[1].

٧ حيرة مع ديونه، وقارب عليه في الدين، وحرمانه من

ولكن لعل ذا يرى لا يتفقه شهوات النفوس، ويدعو على آخره، ما يقرب من ستة أشهر، وقد حبس ستة عشر ألف دينار وثلاثين ألفا وأربعمائة وهذه قصة

وفي هذه الشهور حدث أمر هذا الحسن بن الصفار، فمنعني منه شغلي، حتى اعتقلني عن التعرض، فمكثت نحو عشرة أشهر لا أدري بوجه، ولا يصل إلي بوجه، وكان لساني كان لا يتكلم، وأنا

وبعد الأمر، أن وقع ... في قلبي، فطلبته فوجدته لهضم، وإبراهيم ... فكان لا يدع شربه، ولا يهضم من نفسه، فضعفت قوته، وقطع أطباء حمدون في علاجه، وقالوا

هذا أمر يرد القلب، ومعه يرجى الفرج، ولا سبيل إليه بالعلاج، إلا أن يقع السرور على الهم

وهذه قصة

٨ سقوط الدار، وإنقاذ ... من تحت الهدم

لما تم ما حبست فيه، وسعد بكليه حبيبي، فتحت إلى الله تعالى فتحا مضطرا، لعلمي أنه يجيب المضطر إذا دعاه، ويسهل على قضي الإعراض عن خلقه، ولعلمي،

(١) في المخطوط ٦٤. (٢) سهوا.

والأهل ، ولولده ، ولأحبته .

٩ عزمه على الخروج إلى العراق على الرغم من نصح ابن عباس وابن عمر

وهذه تظهرت عزمي على الخروج من مكة ، وأنا في نفسي سعيد شاكر لله ، راجيه أن يصحبني ، على عزمي في المقام بمكة ، فلما أجمعت أمري على الخروج من هناك ، على عزم أن أعوده بعد [1] .

قول

١ عزمه على الخروج لما رأى أن أهل العراق لا يريدون غيره

« وسيهدف بكلامه هذا على عزمي كافة ، فلم يكن فيهم من يشير علي بأن أكون لأعرض عما كنت عزمت عليه ، لأنه رأى أن ذلك هو الصواب لي في ديني ، ولكن كان كل من سمعه من الناس [1] »

وقد سمعه من عدد كبير في المدينة ، فلم يشر عليه أحد في ذلك سوى أخيه من أمه عبد الله [2] .

وقد سمع من غيرهم فكان يشير عليه في أمره ، ولا يمكث عليه ، وعلى رأسهم ابن عباس وابن عمر ، فلا يسعه إلا أن يقول

هذا أمر سماوي ، ليس لي فيه حيلة ، لأنه قد أتاني من السماء ، ورفعة العلم [3] » .

---

(١) الطبري ج ٦ ص ٢٠٧ (٢) الطبري ج ٦ ص ٢٠٦

يقول الغزالي :

١١ – [illegible] بغداد [illegible]

« فدخلت بغداد، وفرقت ما كان معي من مال، ولم أدخر إلا قدر الكفاف، وقوت الأطفال، ترخصاً بأن مال العراق مرصد للمصالح، لكونه وقفاً على المسلمين، [illegible] لعالم لعياله، أصلح منه »(1)

٢ – [illegible]

« ثم دخلت الشام، [illegible] لا شغل لي إلا العزلة، والخلوة، والرياضة، والمجاهدة، [illegible] وتهذيب الأخلاق، [illegible] لذكر الله [illegible] كما كنت [illegible] من علم الصوفية [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible]

٣ – [illegible]

« [illegible]

[illegible]

٤ – [illegible]

« [illegible]

[illegible]

(1) [illegible]

أيضا، حرصًا على الخلوة، وتصفية القلب للذكر»

«[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ودفن [illegible] (١)

[illegible]

[illegible] (٢)

يقول [illegible]

وبالجملة شدد يقول القائلون فى طريقة

١٧ شروط لا بد توفرها فى سالك طريق الصوفية

طهارتها وذلك أول شروطها — طهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى

ومفتاحها وذلك حجر منها مجرى التحريم من الصلاة — ستغراق القلب بالكلية بذكر الله

وآخرها الفناء كله، فى الله[1]

١٨ — رأى ابن خلدون فى التصوف

يقول

« وهى فى طريقه تنتهى المكاشفات والمشاهدات، حتى إنهم فى يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء، ويقتبسون منهم فوائد، ثم يترقى فى الحال من مشاهدة الصور والأمثال، إلى درجات ضيق عنها نطاق العبارة، ولا يحول دون ذلك عندهم إلا اشتمال الفطرة على حظ طبيعى، لا يمكنه الانخلاع عنه[2]

وعلى حسب ينتهى الأمر فى قرب وبعد مسافة « الحلول »، ومسافة « الاتحاد »، ومسافة « الوصول »، وكل ذلك خطأ، لأن من لا استقامة له لا يتبغى أن يريد على أن يقول

وكل ما كان مما لست أذكره
فضل حبرا ولا تسأل عن الخبر[3]

---

(١) ... ص ٦٨ . (٢) ... ص ٦٠ .
(٣) ... ص ٧ .

١٩ — ماذا نعنيه بالذوق؟

ومن لم يرزق من هذه الطريقة شيئاً بالذوق، فليس يدرك من حقيقة النبوة إلا الاسم، وكرامات الأولياء على التحقيق بدايات الأنبياء.

وكان ذلك أول حال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أقبل إلى جبل حراء، وحين كان يخلو فيه بربه ويتعبد، حتى قالت العرب: إن محمداً عشق ربه»(١)

٢٠ — [illegible]

(١) [illegible] فتحة في هذه الأحوال [illegible] برهان هو [illegible] العلم

[illegible] وملازمة تلك الحالة هي [illegible] الذوق

(٢) [illegible] القبول من التسامع والتجربة وحسن الظن هو [illegible] الإيمان

و[illegible] المستمعين [illegible] فهذه ثلاث درجات [illegible] قوم [illegible]

وتحولوا [illegible]

فجموا و[illegible] كيف يفوت [illegible]»(٢)

٢١ — [illegible] وقد [illegible] نعرف [illegible] بالذوق، و[illegible]

وثالثة [illegible] الأبدان

أن [illegible] من [illegible] وقت، وأن الأبدان أدوية [illegible]

العقلاء ببضاعة العقل، بل يجب فيها تقليد الأطباء

وكما أن أدوية الأبدان تركب من عقاقير مختلفة النوع والمقدار،

فكذلك أدوية القلوب، فهي تركب من عبادات مختلفة النوع

والمقدار كذلك، فترى السجود ضعف الركوع، وصلاة الصبح

(١) المصدر [illegible] ٧٠ (٢) المصدر ٧٣

نصف صلاة المصر في مقدر .

ولا يعرف سر هذا ، إلا الذي طبب قلب ، كما لا يعرف سر دلك ؛ إلا الطبيب مداوي البدن[1]

ثم وقد رأى العرب - على صوء البصيرة التي منحه الله نور الحق وضعف بعد به

فمنهم من خاض في غمار المعركة ، ولم يعرف شيئا من التصوف ، أو اتصف بالتصوف ، ولم يسلم بعض من لبس الخرقة

أما وقد رأى العرب أن كل هؤلاء يولدون شعراء ويموتون حلقتها ، وتعود الأرض تجدب وتنبت أخرى ، تتعاور في صراع دائم ، وتحاول الإجابة على السؤال الأهم

فقول العرب

ثم وقد [illegible] ، كانت هذه الشعوب ، لدرجة أن يوضح هؤلاء [illegible] عندي من [illegible] ذلك كله حولي في [illegible] ، و [illegible] ، و موسيقى [illegible]

ثم وقد [illegible] قال ذلك فقد [illegible] في نفسي ، أن يفتح هؤلاء [illegible] معاني في هذا الوقت [illegible]

٢٢ إحياء العلوم ، الغزالي ، ج ٤ ، ص ٣٥٠

قد نفسي حلوه والعرب وقد [illegible] ، وشرف الحق على الضلال »

١ [illegible] ص ١٨٢ [illegible] ص ١٥٩ [illegible]

٢ [illegible] ص ١٨٧ [illegible] ص ٨٨

٢٣ وسوس النفس وذود عن الفضيلة والدين

فقلت فى نفسى:

«ومتى تستطيع أن تكشف هذه الغمة، ومصادمة هذه الصعاب والمحن وهى عاتية، والدور دوار من حولك، ولو اشتغلت بدعوة الحق على مرافقها فى خلق، لذهلت عن الزمن وأهمهم، وأنى لقومك أن يكلفوك شططه

ولا بد لك إذا رمت ذلك أن تعد وتستعين بالصبر، فما وجدت نبى ورسولا حتى تأسى بالصبر على مرارته، فعلا تعجز عن تأسى بحق أسوة

٢٤ [illegible]

لا [illegible]

[illegible] ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه، ويحل عليه عذاب مقيم، لا يجد له من دونه ولى ولا نصير، ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين، ولو كان ذا قربى، وأصرت على الخلاف، وإن حد أولوه

وشاقون [illegible] وحسبه من ضعف، ولا يسعنى أن أكون [illegible] عليه، ولا أن أقف عن النفس، وتسوء من ذى الخلق

فمن يرخص نفسك من نفسه خلق، ولله ما يقول

ولقد كذبت من قبلك رسل فصبروا على ما كذبوا، وأوذوا حتى أتاهم نصرنا، ولا مبدل لكلمات الله، ولقد جاءك من نبأ المرسلين[٢]»

(١) [illegible] ص ٨٨ (٢) [illegible] ص ٨٩

يقول

وهذه شهادات في ذلك، جمعته من أفواه عيون ومشاهدات،
اتفقوا على الإشارة إلى المزلة، والخروج من الزاوية،
وانضاف لذلك، منامات من مستحبين كثيرة متواترة، تشهد بأن
هذه الحركة مبدأ خير وسعد، قدرها الله سبحانه وتعالى على رأس
هذه المائة، وقد وعد بتجديد الدين على رأس كل مائة[1]

وبهذه الحركة انتشر علم الحديث في سائر أنحاء هذه الشعوب،
وبهذه الحركة ظهر في الهند
[illegible][2]

عيون

وهذه حركة قدرها
[illegible]
وكان خروج من هذه الزاوية من بيت لأحيون، ثم حصر
[illegible] عيون ولأحيون، وكان
المؤمن من [illegible][3]

[illegible] رجوع عيون ما كان، وكان في ذلك أيضا من أثر العلم الذي
كسب له الجاه، وأدخل به عيون وعمى، وكان ذلك

قصدي و حقي .

[illegible]

سقوط [illegible]

[illegible] (١)

[illegible]

[illegible]

ولكن [illegible] لا حول ولا قوة

إلا بالله [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] (٢)

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

ب — كشف اسماء عادات ، وعيوب للاقوال

واكس ش يكيك ب ب ، ن يحص ، كنت ،
و سوت خو اهدف ن ن ، و عصت ع ي سدو
ع ن ن حملك س

ن ل ي كب ن ع ح ه ي ، ي ا ع س ه ، ٣١ ن ٢ ـ
و ه س ح ي ب ه ي ا ه و ر ه ، و ل ه ع ي ٢٨
ن ن ر ه و ح ، و ح ي ا ب ت ي ا ي ج و ع ن ه س
ه ح ص و ه ، ه ذ ع و ا ح ر ه ل ي س ك ، و ر ه ل ي ع ه ،
ه ه ي ر ه ن ك ل ح ص ، ء ي ه ن ي ع و ح ، و ا ح ك
ه ن ح ي ا

ن ه ه ح ص ، ه ه ر ه ق د س ه ل ن ه ، و ا ل ه ،
و ن ل ي ع ى و ج ه ن ص ه ذ ع ر ش ك ا ه س و ه ي ع س ه

و ن ل ي ع ى ن ه ه ن ي ك ه ب ه ح ص ي س ك ٣٢ ن ك ا ه
ي ن ظ ر ي
و ب ق ا س ، ه ع ن ص ن ه ش ك ؛ ي د ل ك ع ى ن ه ب ح ت ، ك ر س ، ا و ب ن ي ؟
و ع ر ض ن ه ب ح ن ا س ، ي د ل ت ع ى ن ا ل ه ح ص ه ي س ن ع ب ه ،
ه ل ا ح ض ر ه ، و ا ن ر ف ه

و ن ه ف ر ض ي ص ن ع ل ا ك ل ا م ، ل ي ك ن ي ح ه ك ف ، و ل ا ٣٣ — ب ا د
ر ئ س ع ل م
ا ل ك ل ا م ؟

لدائه الذى شكوه شعب ، لأن رجاله اعتمدوا على التقليد ، وإجماع الأمة ، ومجرد قبول آى القرآن ، وأحاديث محمد عليه السلام[1]

٣٤ [illegible] وأنه عندما [illegible] فى [illegible] فى [illegible]

الطلمية ، سنة ٤٨٤هـ ، وكان سنه [illegible] وثلاثين سنة ، وهى سن [illegible] والرجاء [illegible]

أقول [illegible] فى الحصول [illegible] فى [illegible]

[illegible]

ولكنه لا [illegible] أن يكون [illegible] الأول [illegible] عصره [illegible]

٣٥ [illegible] الرد على [illegible] أن [illegible] الذين [illegible] ردوا عليهم [illegible]

إذ [illegible]

وتم [illegible]

(١) [illegible]
(٢) [illegible]
[illegible] أن كان [illegible]
(٣) [illegible]

ولكن لسنة مرت لا بد لى من الشهرة ، وهى مدار
الخاصة من العلماء ، وقيل عنه

أما العامة ... جمهور الشعب ... فلا يهتم بهم ولا تهمه
أما السلطان ، فهو يريد منهم به ملكه ، ولكنه عند

... العراق صار [illegible] عندما تولى سنة ٣٠ [illegible]
المستظهر بالله ، فقرب تقريبه ، وعلت منزلته ، وقدم كلمته ،
وبسط توليته (١)

ولكن مرارة مع هذا لأنه يعيش ، وهو لا يرى [illegible] ٣٢
الاسم ، وديوانه [illegible] ، فهو [illegible]

[illegible]

أو من [illegible] ، وهو من [illegible] ،
هذا [illegible] ومن يرى هو

يرى الجمهور الإسلامى فى ذلك الوقت ، كما هو فى كل
ومكان ، لا يهتم بالتصوف ولا بحث المتكلمين ، وهم هو
فى رمزه الأول ، وهو قريب من الله

يرى أن هؤلاء الأشخاص ، فضلا عن أنهم مسيطرون على
العامة ، فهم مقربون من الخاصة ، لأن الخاصة يرون فى تقربهم
منهم ، تحببا للعامة ، وتزلفا للشعب

يرى الغزالى ذلك كله ، بل يراه رأى العين ، عندما يختلف

(١) [illegible]

إلى ظاهر الحق، فيرى أنه ما كان خلقه إلا ادعاء العلم، وفقراء الصوفية، فيعود بهم عند رجوعهم عنه، حتى ما لهم، وفقرهم من محبته، ويذيقهم من صنوف الهوان على ذلك قال

... هؤلاء إذ فرقتهم من أتوا على ... ليس في

يدين ويعرف بمراتب ... ألف في الشريعة، فكتب الوجيز، والوسيط، والمنسوخ

وكتب في الأصول، وعلم الكلام، ودرس في المذهب، وناظر عليه وعليه، وناظر عليه و

وكان كل هذا في ... كثير، كل هذا شيئ ... هذا لأمر عريض، وشهرة عظيمة ...

... يعرف الفرق بين هذه

٢٨ ... يعرف أنه في ... لا ينفعه في مرضاة الله، وإنما في ... وهو ... أخيه، وعمله في ... ليس

هذا هو ... ودنياه ...

... أنه شيخ، ... فوق ... قوي، لأنك احتجت ... فصرت ... نفسك ساقره عن حضرته، وما حجبك عن حكمك وحيث ... حاف معصر الناس من حكم ... وهو نفس غير رحيم!! فقالوا ...

... ص ٢٢٠

ما ليس فى قلوبهم ؟

عم ... ص ، لأنك ... من حقد هذه الصراحة فى ... الإسلام ، ومن علماء المسلمين ، فابنت للناس ما تنطوى عليه ضلوعك ، وما يختلج فى قلبك ، إن شراً وإن خيراً ، كأنك لم تكن تستشعر ... ص وتعترف ، وكأنك لا تملك من أمرك شيئاً مؤمن ... فى المؤمن الذى يصغى من ... ع وحى » كما قال ذلك صراحة فى المنقذ [1]

عم ... هذا التاريخ ... خروجك من بغداد ... وقد كان عمرك حوالى ... ة والثلاثين من السنين ، وأنا أومن معك بأن ... لاشك فيه ، ... ن عملك كله - من أوله إلى آخره - كان المقصود به كما قلت « هو ... ب الجاه ، ودوى الاسم ، وانتشار الصيت » [2]

عم ... ى العراق ، وعرف به ... سيح فى الأرض ، لم يكن ... إلى النفس ، ... خلد اسمه ... هو حقيقة ... ، وإذا كان قد كتب فى الشريعة ، وفى الأصول و ... مهمات كتب كثيرة تشبه ما كتب

عم عرفت ... وقتك من علم الكلام وعلم الفلسفة ، فأحيا الأول على حساب ... كما معتقد ... ولكنه لم ... يحس ويرى شيئاً جديداً ، يرى ميداناً واسعاً

يرى ، ويعرف ، ويحس ... تصوف ... حينئذ ... صحيح نظام حياته ، وقد حدد ... وحدد تفكيره حدودها ، وشرع

(1) ... ص ٩٠ (2) ... ص ٦٣ .

على الصوفية في رسالته - القشيرية - فأصبح جماعة لها قصد وسلوك، وهي حركة، وفيها حياة

ووحد - وهو القول الذي عليه أكثر أهل السنة، ويدعو إليه من بقي من الأشاعرة على اعتقاده، سيما الأئمة والمقررون، وهو كل المنتمين في ذلك الوقت.

ويوحد أهل السنة قديماً، الذين يحدون بمظهر القرآن، ومنصوص الحديث، حكماً محصوراً في الكتاب، وفي السنة، وفي المدلولات، يتمثل ذلك في مذهب أهل السنة والأشاعرة، الذي أصبح هذا، هو المذهب الرسمي بجامعة الزيتونة، وهو الذي اشتد ساعده بمدارس المملكة، التي أسسها الملك، والذي عليه أهل القرآن، وعلماء الشريعة.

أما المعتزلة في القرن الخامس الهجري، فوحد، وعرف، وخمس، وأبى كل هذا وأنكره من وجود قديم وحديث، وحصر القديم، وأبى أن يكون لله الكلام، والوجه، واليدين، والعين، والوجود، والضحك.

إذ ليتفقد المعتزلة، وخمس عبد، وسد نقص، الذي شعر به عند الظاهرية، كما سد نقص، الذي شعر به المتكلمون، عند مذهبه الفلسفة، أسلوب غير كلام، كما عقد

إذ ليوفق بين مذهب عبده الأشعرية الرسمي، أسسه وهو غير الظاهر، وبين ما يدين به عامة، من عقائد الصوفية،

وهو علم الدين

مؤلف كتاب « جمع فيه نهج الصوفي سبيل ... »

ليقتفي أثره ... ويستوي به على سنن العدالة ... وسلك جميع

وجدوني بجمل نهج شرعي ... لأنصر به نهج صوفي ...

... من أمور ... وأزهد خلقه من عبده ... ومتقن

ولكل كتب كتبت في الصوفية ... وعلى شاكلته ... وجمع علمه

... لا ... من ... وقد عرفت ... هذا هو ... له

في ... وتحسين ... كما حسن ... عند ... الناس ... وذكي

... الناس

... فسمي عصيه ... وقد ورد ... عالمه حتى ... في على كره

... عليه ... وحسد ... يمكن ... حسن ... من ... ثم

والسمع ... ودنت ... من كتب ... سكي ... وحسدني ... الدعي ...

ولكنه جد ... هذا ... الناس كلاف ... لأن من ... ض ... فيه

الإعراض عن الخلق ... ل ... وهرب من سواهم ... وعلق (٢)

... فسمي ... نفسه ... ابك ... وتم ... رسم الصوفية ... حتى يحور

الأمجد كما يجب ... أن ... يكون ... ويعتزل ... الناس ... ويهرب من جملة

ومن ... نسه ... لغوه ... وخير ... يفر من عباده ... ويعتزل ... شاه

ولكن يراه ... وهو في ... لخلوه ... شاه ... يؤدي ... باسم الصوفية

(١) راجع عنه أخبار ... وترجمته ... كتبه ... وغير ... عنه

(٢) ... (ص ٢٠) (٣) ... (ص ٢٠)

و[illegible] في الأرض [illegible] وألف كتابه الخالد إحياء علوم الدين

ثم رجع إلى [illegible] [illegible] [illegible] ووقد

الأو[illegible] [illegible] [illegible] ، [illegible] [illegible] [illegible] ،

و[illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] ، [illegible]

[illegible] ، و[illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]

وقد كان [illegible] [illegible] فهو [illegible] [illegible]

وكان [illegible] [illegible] فهو [illegible] [illegible]

وكان [illegible] [illegible] ، و[illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] ، [illegible] [illegible] ،

[illegible] ، [illegible] [illegible] [illegible] ، [illegible] [illegible] لا [illegible]

[illegible] ، ولا [illegible] ، و[illegible] [illegible] حركاته وسكناته

حركاته وسكناته ، في [illegible] و[illegible] ، [illegible] من نور

مشكاة النبوة[1]

ثم [illegible] [illegible] [illegible] ، و[illegible] ، [illegible]

[illegible] ، وله [illegible]

[illegible] ، [illegible] [illegible] ، ولا [illegible] [illegible] [illegible]

الإسلام [illegible] ، وهو [illegible] على [illegible] من [illegible] [illegible] المحرمات

(١) [illegible]

ولا يقص، لأنه يزيد [illegible] ولا ينقص، حيث يقص شعره، ولا يكفه عن [illegible][1]

ويقص على لحيته ما زاد على القبضة، ويكره أن يأخذ منها من جانبيه وأسفله. ويستحب أن يأخذ من شاربه حتى يوفي الشفة، ويحفيه[2].

وإذا كان للمحرم [illegible] فلا بأس أن يقص [illegible] ويلبس ما شاء من الثياب[3].

وإذا أراد المحرم أن يغتسل أو يتوضأ فلا بأس بذلك، ولا يكره له ذلك. وإن اغتسل على الماء الجاري فحسن، وإن اغتسل على الماء الراكد فحسن أيضاً، إلا أنه يكره له أن يغتسل من الجنابة على الماء الراكد، لأن الجنب يزيل النجاسة الحكمية عن بدنه بالاغتسال، فيصير الماء نجساً حكماً، ويصير مستعملاً، ويرجع عن طهوريته، وقد مضى الخلاف في ذلك.

وهذا [illegible] هذه المسألة [illegible]

(١) المقدس ٢٨٨ (٢) المقدس ٢٨٨ . (٣) المقدس ٢٨٨ .

[illegible] كل ما حلت به واهي في جميع ما أراد،
تحيل من أجمع به وبسره لا تحدث من الخلق به وجوده، كله
الأبد قوه به وكسبه من سبيل حده

٤٢ [illegible] هذا كل هذا لك ولا تح
[illegible] كيف كل هذا فسرت نفسك عاقبت به وسوت
حوله شوك

هذا فسحت من ذات نفس لا تكن على نفس أحزن منه
العرش به وهو نفس أخرى هو من خلقت به لأن حولت
هذا نفس به كانت في سبب [illegible] حده حده به ولأنك فيه
[illegible] في مكاره في حكمه بك خسئة به لا تس فيه ولا تموس
[illegible] حسبت من ذات به وفسحت نفسه خلقت به كل هذا من
[illegible] هذا نفس تعرى في هذا نفس فرحوت هيره به سيدي
الحرش [illegible] حسبته به وده به وبه به وحاسبت من هيئه به حتى
إذا ما [illegible] به على نفسه من نفسه هو به وشر هذا

صوره [illegible] ده هو واحد منه
وشر [illegible] ده احق به وسحقه لو به وبه منه

٥ – قصة الغزالي الصوفية، ما تعني الحق والواقع

تنتهي الغزالي من بحثه عن الحق – الذي جهر دائما بأنه قام ٤٣
بهذا البحث لأجل العثور عليه – عند الصوفية فلم يجده لديهم

وها هو ذا يحكي عن خلوته لأخيره، فتح ميدان الصوفية،
ويقرر فيه كل همته، وهدفه، ولا يعتبر أنه بحث عن شيء،
أو وقف على شيء، إلا إذا كان قد عرف كل شيء فهما صحيحا

فما هو الحق الذي يقصده، هو
في نظر الصوفية، أو في نظره هو الحق نفسه، وهي
الحقيقة، وهو يقيم عليه، من هو نفسه، لا على أنه مذهب بحث
فيه عن الحق، بل على أنه هو كل الحق، وكل اليقين

وكما أنه سيعود عند كلامه عن الأسباب التي اضطرته إلى ٤٤
الانخراط في سلك الصوفية، يصرح هنا بأن

الصوفية كانت طريقة، لا يمكن معرفتها إلا عن
طريق العمل

فما العمل؟ هو أن يحس من أعماق نفسه لكي يعرف حقائق
الأشياء، ولا فقد حسه من كيمياء، ومثل، ومثل

فما العمل؟ هو أن يصير صوفيا، لا بالأقوال، ولا به

لا يمكن الوصول إلى طريقتهم إلا بالذوق ، والحال ، وتبدل الصفات ، فقد اضطر إلى الخلوة والاعتزال ، والانقطاع بكلية إلى الله ، طلباً لذلك .

نعم آمنا بهذه الوسيلة وهي

تبدل الصفات ، والانجذاب في بحر الصوفية ، وملاسة حوائجهم ، والعزلة عن الناس ، وبعد عنهم .

وأيضاً آمنا بهذه الغاية وهي :

الوصول إلى طريقة الصوفية .

ثم العلاقة بين هذا ، وبين سبب ثالث ، الذي أعنيه أنه كسبب للخلوة ، وهو :

٢ أنه قد يطير ببعض الناس ما سمعه به في سعادة الآخرة بلا تقوى ، وكف النفس عن الهوى ، وليس الأمر كذلك ، فمنهم علاقته تنقطع عن الدنيا ، والإعراض عن لذاتها ، وشهواتها ، والزهد (١) في الخلوة والعزلة أيضاً

فمنهم يريد العزلة ليتوصل إلى طريقة الصوفية ، كما قلناه من طريق المعرفة والتجلي

فمعتزل الناس ، وتجه إلى الله بالتسبيح والصلوة

أو يريد سعادة الآخرة ، فمعتزل الناس والأهل ، والمال ، وتجه إلى الله ، ليصير زاهد

---

(١) [illegible] صفحة ٦٢

وهل أراد الغزالي بذلك أن يهدم معاً طرق الصوفية، وسعادة الآخرة، أو أراد شيئاً

[illegible] في الواقع لأن [illegible] لا أنه [illegible] في [illegible] كما [illegible] ؟

أي وهل أراد الغزالي بهذا [illegible] وهو يكتب ويعرف هذا كله، ومستظهر بأحاديث تحض إليها أقاصيصه، وإلى المستقصي الذي تهوى إليه [illegible]

ولكنه كتب كتابه لجميع الناس جميعاً، فيؤدي المتين منهم، حتى فهم الصوفية ولغتهم، أنه يعترف بصحة الصوفية، وحتى فهم الخاصة وحتى [illegible] أنه اعترف بصحة في سعادة الآخرة، وزهد في الدنيا [illegible]

وهذا لا يمنع أن في كل الوسيلتين، ولا مانع أيضاً من جمع الناس [illegible] حتى فهمه الكل، وجعله مجموعاً، وسجد على جلال [illegible] كافة

[illegible] يؤكد [illegible]

[illegible] صحيحة أيّ [illegible] الاعراض عن الحياة، [illegible] على [illegible]

فهل كان الغزالي في حياته مستوفى هذه الشروط

[illegible] فيؤتى [illegible] في [illegible] غير حاجة لوجه

[illegible]

الله ، ثم بعثه ومحركه حب الخير ، وبعث ما أصبت »[1]

أما المال فهو معين على خصلة ، حث عليه من يحض على تدريسه ، وشره من يصفه بعدا

أما الشواغل والعلائق فهو عارض فيه ، لأنه يشغل ، ويلهي عن تدريس العلوم الشرعية ، والإفادة ، فالاشتغال به من الصفة بعدد ، والتصنيف فيه وقت فوته

وزيادة على ذلك فهو حابس لصاحبه عن الصفة ، يمارس الصفة ، ويحبس في كتب المشتغل »[2]

٤٦ ... ثم ... العراقي ... العلوم الشرعية ، غير ... ، ويعبر ... ، لأن الصوفية ... كذب ... لا توصل إلى حب الله ، ولا ... شريعا في ... القرآن

ثم بعد ما ذكره العراقي ، ... الذي ردد اسمه في كثير من صفحات إحيائه ، وفي المنقذ ... ، والذي حكى أنه بقي عنه الصوفية في حدود ... لو طرقتم إلى حال أعمى من الكرامات حتى يرتفع في الهواء ، فلا تعدوا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي ، وحفظ الحدود ، وأداء الشريعة »

٤٧ ... العراقي ... من جمع أنه ... الصفة ... و ...

وبعض العراقي أيضاً

... جميع العلوم التي يدعيها ... ، ليست واقعة في طريق الآخرة ،

(١) (... ص ٦٣) (٢) (... ص ٢٣)

[illegible] (1) [illegible]

[illegible] (1) [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

(1) [illegible]

والكن [illegible] والعقل [illegible] [illegible]

[illegible] (١)

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] (٢)

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الذي [illegible] في [illegible]

[illegible] كاملات "

(١) [illegible]
[illegible] ٦٤ .

هذا تمثل سعيه العربي في المسند ، بين عقله الواعي ، وعقله
الباطن ، وبين نفسه وحده وبين شيخه ، كما تقول هو
استطاع منه عن طريقه ، وفيه من خصائصه ، ما يجب أن يُفهم
لماذا يجب أن يُفهم هذا الطريق العربي في حركته ، ولماذا يجب أن
يُفهمه الناس عنه

تركيز العربي على التمثل بنفسه ، وعلى عزوفه عن الغرب
وعنه ، وذلك عنده ليس مركب نقص ، بل هو تأكيد هو نفسه
كله ، وتأكيد لهدف الذي يسعى ، بغض النظر عن أن يتفق في طريقه
مع الغرب ، أو لا يتفق معه

يقول لا يهمني ما يقوله
فكيف يفهمني
هذا هو ذا يحدق في تفكيري ، ويتساءل
فيفكر ويفكر ، وهو وحده يفكر ، فيما بيني وبينه شهور
ومن أين هذه الشهور ، وهو لا يراني في ضريبي سلك ،
ولا في أي مسلك يجب أن يسلك

أفكر أسوي عليه ، فيسبل عينيه ، وأنا أسرح به ، وأنا لا
أقدر على أن يدرس أكثر من درس واحد كل يوم ، إرضاء
لتلاميذه و « نصف الثقوب يحققون بيه »[1]

زاد مرضي ، فثقل لسانه ، وصعب فوه همسه ، وتعقد

---

(١) ديوان ص ٩٤ .

فوه و وخير : صدر قرار الأسف

« أمن زل ، لقت ، ومنه سمي بالمزح ، فلا سبيل إلى
العلاج ، إلا أن يروح السر عن الهم »[1]

أمن زل ، لقت ، ولا بد أن يروح السر عن الهم الذي

عم الحب والروح ، حين به سر يخفى ، وأمر يراد ، فليس
لأصحاب الحب فيه مزاح

فمن عاد إلى

ومن تحبب

معرف ، لم أعرف حينئذ ،

إلى ، حبيب عاد لك شوقي ، وسقمه ، بكاية الحب ،

الحب إلى الله تعالى ، مقصور ، معقود بالود ، يهدي على قدر
المشقة ، فهو حبي ، ولا حب إلا سواه ، وفعلا ، ووصف الله بالود ،
وأمر قرآن الله

يدعون على فتى لا عرض من حبه ، ومال ، والأهل ، والولد ، والأصحاب »[1]

المعلق بالأهل ، والمال ، والولد ، والأصحاب فهو
يصرح بأنه سهل عليه الإعراض عنها جميعا ، وسعى جدي
صحة هذا في هذا

فمن عشقه ، قد أحب الحبة الحديدة ، وما فيها من

(1) المقدمة ص ٦٥ .

راحة وهدوء، فلا يمكنه تركها ولا خوف من ذلك

لأنه وهو في العزلة سيدرس، وسيفقد حتى الوعظ والإرشاد في كل مكان يحل به، سيؤلف، وسيجد في خصومه، ويبيع على أصحابه عن طريق التأليف أسماءهم كما فعل لاحق ذلك

ولهذا وستكون حياته سعيدة، شاهرة جريئة طاهرة

٣ أما عدم تيسر مقصوده فمنتف، فإن راحته الروحية والعلمية، وقضاء

لأنه وإن عدم سيكون قوي الأمل، وأعظم شيء، وأكمله بحاله، بل سيصلح ويزيد في علمه، فقد في بلده، إذ سيجمع بين الحقيقة والشريعة، بين علم الظاهر وعلم الباطن

أما أنه لن تتيسر له مقصوده من الراحة لبلده، أي أنه لن يجد المنصب حالا، فعاد لا يلتفت إليه

وفعلا — كما قال الإتحاف أيضا — أناب عنه أخاه في التدريس

٥٣ كيف ينيب عن أخاه وهو أعلم منه؟

فإذا صح ما قاله الإتحاف؛ فكيف ينيب عنه أخاه، مع إيمانه بأن التدريس غير مهم، وسيدفع في طريق آخره

وكيف يجيز أن ما يراه ضلالا يتولى عليه من قود أخاه إليه، فيورده مورد الهلكة، كما يعتقد هو؟

نعم قد يجب العراق بأحد حوبين

١ إبي وصيته بذلا من ذهب من الناس إلى أن يعود إلى عمله، بعد قضاء أربه، وهو الحج

مع أنه يصرح بأنه « عزم على ألا يعاود بغداد أبدا »[1]

و وعته بدلا من ، ليحفظ مكانه ، حتى عندرجوعه أخذه حتما

وعلى كلا الحالين - إذا كانت هذه الأسباب صحيحة - فهي تتعارض مع تصريحه هذا من أن التدريس غير واقع وغير مهم

لأنه كيف يؤمن بهذا ، ثم يقود أخاه إليه

فأين يجد الحق والصدق

فهل كان يؤمن بأن التدريس للعلوم الشرعية واقع ومهم ، وهو حينئذ يقول بنسبته ما ليس في نفسه ، أو كان يؤمن بعكس ذلك حقا

نعم ، يستمر في تعليمه وتدريسه تؤكد ذلك

إن تصريحه بأن التدريس غير واقع ، وغير مهم ، غير مطابق لما في نفسه ، وغير صادر من قلبه . ولهذا فهو يترك أخاه مكانه ، حفظا لمنصبه ، أو يهيئ الناس لتأكيد عوده ، أو تقديمه للناس بدلا منه ، أو ذلك كله معا

٥٤ حروف غير واضحة من الخشبة

بعد ذلك يحدث العراقي أنه بعد عزمه على الهرب والفرار ، تظاهر بالخروج إلى مكة ، وهو يرى في نفسه سفر الشام ، خوفا من أن يطلع الخليفة ، وأصحابه الكثيرون ، على خروجه طلبا للمقام بأرض الشام

(١) ... ص ٥٠ ...

ولهذا تصف بتلك الصفات الجميل . يخرج من بغداد ، وهو لا يدري أنه سيرجع إليها ، بل هو قد عزم على ألا يعاودها أبدا

فإذا كان قد أقلع عن الزنا ، وعزم على التطهر بخلوه والاعتزال ، فكيف يمكن أن يقال إنه ذاهب إلى مكة ، لحج بيت الله الحرام ؟ بينما هو يريد السفر إلى الشام ، والتقدم بدمشق

لماذا ؟ وهو قريب من بغداد ، وفي بغداد ، حيث أصبح درسه ، ومنقده ، يتطهر عما ينقض ، ويقترف ما قد يرميه ، افتراء عن عمد واختيار

لماذا يتحايل على الخروج من بغداد ، خوفا من أحمد أن يتبعه ، ومن الأصحاب أن يقفوا في طريقه

لماذا يخاف من أحمد ؟ وهل من أراد هو كله خير ، وواجب أن يتبعه إليه

لم يخف إبدال أحمد وتبعه له ، وهو الذي شد بعض الرسل الإبداء في سبيل الحق ، وبث الهدى

مستشهدا بقول الله

« ولقد كذبت رسل من قبلك ، فصبروا على ما كذبوا ، وأوذوا حتى أتاهم نصرنا » وغير ذلك من الآيات (١)

بعد هذا لا يمكن أن نقول ما قاله في بداية أحمد عنه في التدريس

(١) « سنقدس ٨٩ »

إن الغزالى : إما أن يكون كلامه هنا غير مطابق للواقع ، فهو
بتحليل ، وهو يظهر غير ما يبطن ، وهذا ما نشك فيه ونستبعده ،
ولأن الوقائع المادية تدحضه

وإما أن يكون قوله إنه هرب من مدرس ، لأنه غير واقعى ،
وأن الله سبحانه على قلبه لأعراض عن الدنيا و ... فيحاً كليه
إلى الله ، غير مطابق للواقع ، وهذا ما نراه ونعتقده

هذا ما كان من أثر الغزالى فى نفس العراق

أما الأثر الذى خلفه من خيبوس فى العراق ، فهو هو الذى نقص
عليك فى نقده ، ما نراه نحن بإزائه فى عراقه ، فيجدر بنا أن نقف هنا
العراق ، وقد تناولوه العراق بالتحريم ، سواء تناولوه فعلاً ، أو
عقدوا عليه ونووه ، لأنهم لا يجيزون أن يرى صاحب المنصب
الأعلى فى الدين ، وهو كرسى البصرية ، من هذا المستوى العلى ،
إلى هذا المستوى الأدنى

وهنا أيضاً يلعب العقل الباطن دوره

فيحدث العراقى فلانا إن العراقيين ، جميعاً لم يروا فيه
هو المنصب[1] الأعلى فى الدين ، ولكن كان ذلك مطمعهم من
العلم »[2]

أما هو أى العراقى ، فيعلم أن هناك منصباً أعلى من هذا ،
هو منصب

---

(١) ... (٢) ...

قائد حركة كلها خير ورشد[1]

« رسول الله على رأس مائة لإحياء دينه »[2]

٥٦ عقيدة الشيعة وتصحيح لها ..

تقول العراق عن ذلك

« هذا هو حديث أئمة أهل العراق ، أما حديث العامة فمن عقائدهم عن العراق على أن ذلك الخلاف بيني وبين أولاه »[3]

« أما من قرب من ولاه فكان يشهد إخاءهم في الصدق في ، والاكتساب مني ، وعراستي عنهم ، وعن الأصدقاء من قولهم »[4]

ولكن هل هذا صحيح

فهل هو معروف عن أحمد ، وغيره من الصدق في قولهم ، وتتبع أمرهم ، وحمده لأشياخهم ، وتصحيح لحديثهم ؟

أظن كلنا نعرف مدى صحة هذا ، ثم أكرر ما قاله ـ تعالى ـ في مقدمة لصحيحه ما نصه

« ولا زلت مدة مقامي بمدينة السلام ، منشوغل بالتحديث ، وخدمة مواقف سنية ، وقيم به رسم خدمته ، فحتى تأملته من الكلمة ، شمر الغرة والزلى »

« حتى حرست الأوامر الشريفة ، المقدمة المستطهرة ، بالإشارة إلى الخادم تصنيف كتاب في الرد على لبيضة »

(١) مقدمة ص ٨٩ ، (٢) مقدمة ص ٨٩ ، (٣) مقدمة ص ٩٦ ،

« فرأيت الأمثل حتما ، ومسارعة إلى الأرسم حزما »

أضحكني في الرد عليه كلامه هذا

إن ما سبق هو رأي من قرب من الولاة ، وقد أبو العراق ، ٥٧ — يكفي العراق
ورأوا الولاة على كثب ، فأمن بعدهم عن العراق وعن الولاة . ويرى وعدم ثقة أهل
ما تقدم فيقول البصرة

« هذا أمر عجيب ، وليس له سبب ، إلا أنه على حداثة
الإسلام ، وقرب عهد [1] »

وهذا يلعب العقل بالناس دورا هاما ، فيحكي ما يريد للعراق
أن يشيعه عنه بين الناس ، وأن يقنعهم به أجمعين ، ويبني على ذلك
كلامه حين يقول

« إنه ما نقل إلا أمر عجيب يرغب عنه ، ولا خير له فيه
ولا حسن

بل هو أصيح على ثقة بربه ، وأمر بأمره ، وقول الناس
ما يريده الله ، ولا يفعل إلا ما أمره به الله

بل هو شخص ليس كمثل الناس منكسة إلى الله ، فهو مقرب
إليه ، فأضحى من جلسته الناس أمره وخبرهم ، وبدين هو من
أمره وسره :

هذا هو الذي يريد أن يعرف من صحيح أن الله يتبين على قلبه ٥٨ — هل هو الذي
الإعراض عن الله وعلى سمعه يريد أن يعرف من صحيح أن الله يتبين على قلبه
الإعراض عن الله وعلى سمعه

(١) المقدمة ص ٥٠

أما من فقد فرق ما كان معه، ولكنه ادخر قدر الكفاف، وثوب الأسف. ترحمت أن من الخرق وقف على مصالح المسلمين

فلا يوجد من يصح منه الإنفاق على غيره[1]

ولكن هي معنى الإعراض عن الدنيا عند الصوفي، هو أن يدخر لغده قوت أصلي، حتى ولو كان قوت

ثم أخذ الغزالي يحث على هذا في إحيائه، مشيرا إلى فكرة الصوفية، عند الكلام على توكل النفس في الجزء الرابع، يقول

والمحسن له لا فرق بين توكل المتجرد وبين غيره، فإنه إن ساعده الحال على الصبر على الجوع مدة، وعلى الاعتماد بالغيب، والصبر على الجوع زمانا وعجيبة، فليس التوكل في حقيقته

فإن كل ما يضيق ذلك، ويضطر إليه فيه، ويشوش عليه استقامته، فهو خروج عن التوكل

ولذلك

وإن كان لا يرى أن يحسن الظن بالصوفي الذي يدخر شيئا، بل كان يعده إثما فاحشا، فقال له: لا تصحبك الصوفي، إلا الصوفي[2]

إذا هو عندما ادخر من كفافه لغده، فإنما يعرض عنه، أي أن الله يعينه على هذا الإعراض عن الأولاد، كما يعين على هذه

(١) [illegible] (٢) [illegible]

الإعراض عن ذلك ، الذى يبقى عليهم ، فلا يستقلون الموت رقة وعبيدة .

بعد هذا التدليل والاستشهاد ، هل قول العراقى

إن الله سبحانه يعلم أن الإعراض عن ذلك والوقوف صحيح ومطابق للواقع

والإعراض كذلك — لم ينته بهم إلى ذلك ،

ولكن قد مرض العراقى هذا المرض ؟

لم ؟ لأنه لابد من هذا المرض ، حتى يقوم بالرسم الصوفية . وهو العراقى ، وؤدى شرائط المقررة ، فيحور الامتحان ، ويصبح صوفيا ، وعلى الأقل ، حتى يفهم عنه الناس ، والصوفيون ، أنه سار فى الطريق بين رسومه ، وهذه الشروط التى حتموها

العراقى يشرح الخلوة وآدابها بصورة الصحيحة .

بعد ذلك أخذ العراقى فى شرح آداب والخلوة الصوفية الصحيحة قائلا

" إن أول الشروط التى يجب أن يسير عليها البادىء فى هذا الطريق هى

أولا — تصفير القلب ، بكلمة عما سوى الله " ، وهذا أول شروطها

ثانيا — تصفير النفس ، بكلمة ذكر الله ، وهذا مفتاحها ، الذى منه يخرج الخارج من الصلاة

ثالثا « الفناء بالكلية فى الله » وهذا آخرها[1]

ويقول فى إحيائه[2] شارحا هذه المعرفة وتلك الخلوة

« إن ذلك يكون بقطع علائق الدنيا بالكلية ، وتفريغ القلب منها ، وبقطع الهمة عن الأهل ، والمال ، والولد ، والوطن ، وعن العلم والولاية والجاه ، بل يصير الشخص فى حالة تسوى فيه وجود كل شىء وعدمه ، ثم يخلو نفسه فى زاويه ، مع الاقتصار على الفرائض والرواتب ، ويجلس فارغ القلب ، مجتمع الهم ، لا يشغل فكره بقراءة قرآن ، أو بحث فى تفسير ، أو كتابة حديث ، أو نحو ذلك ، بل يجتهد ألا يخطر بباله شىء ، سوى الله تعالى ، فلا يزال بعد جلوسه فى الخلوة ، قائلا بلسانه : الله الله . الله على الدوام ، مع حضور القلب ، حتى ينتهى إلى حالة يترك حركة لسانه ، ويرى كأن الكلمة جارية على لسانه ، بل كأنها تنحى من القلب صورة اللفظ ، وحروفه وهيئته ، وتبقى معناها مجردا فى قلبه ، حاضرا فيه لا يمازجه ، لا يفارقه »

٦ — هل عد العراقى صوفيا حقا ؟

فهل بعد هذا الشرح للمعرفة الصوفية الحقة ، التى حكاها العراقى فى النقد ، وفى الإحياء ، كما تقدم ، كان العراقى إذا مستجمعا لهذه الشرائط ، وتلك الأوصاف ؟

يترك العراقى عداد ، ومعه ابنه فيدخل الشام ، ويقيم بها نحوا من سنتين ، وتقول إنه ما كان له شغل إلا المعرفة والرياضة

(١) « مقدمة ٤٦٨ » . (٢) « ج ٣ ص ١٧ »

و مجاهده ، تركيه النفس ، وتهذيب الأخلاق ، وتصفيه للقلب[1]

ولكن هل اعتزل لأنه أحس هذا منه ؟ وشعر ذلك

يروح من عنده ؟

أو اعتزل لأن هذه الحياة ضرورية ، كما كان حاصلا من علم الصوفية ؟ كما يقول هو نفسه في المنقذ[2]

ثم يراه يصعد إلى دمشق صهوة الجواد ، ويغلق بابها على نفسه .

يراه يدخل صخرة بيت المقدس كل يوم ، ويغلق بابها على نفسه أيضا[3] .

ويراه قد جمع حقائق الوعظ كما يقول الإخباريون وتحدث بفنون الصوفية ، وكتب لإحياء

ويرى داعية الحج ، والاستمداد من بركات مكة والمدينة ، تجربة فيه ، فسافر إلى الحجاز[4]

ويرى الهم ، ودعوات الأصدقاء في لوعة تحذيره ، فيعوده ، حتى تنتهي هذا الحدث ، وتلك الدعوة[5]

ويرى أن حوادث الزمان ، ومهمات العيال ، وضرورات المعاش ، غيرت فيه وجه المراد ، وشوشت عليه صفو الخلوة[6]

ويرى أنه ما كان صفوه له أحس ، إلا في أوقات متفرقة[7]

(1) المنقذ ص ٦٦ ، (2) المنقذ ص ٦٦ ، (3) المنقذ ص ٦٦ ،
(4) المنقذ ص ٦٧ ، (5) المنقذ ص ٦٧ ، (6) المنقذ ص ٦٧ ،
(7) المنقذ ص ٦٧ .

٩١ — من مذكرات دمشق وصور من بيت المقدس

ويرى أنه مع ذلك كله، ما كان يقطع صحبه فيها، « الخلوة »
ولهذا فلا يلبث إلا أن يعود إليها، ثم تدفعه لعواتق عنها، ولكنه
يعود إليها ثانية [1]

هذه خلوته، وتلك عزلته، التي دامت عشر سنوات أو تزيد!!

٦٢ مقارنة بين خلوة المتنبي وخلوته المصرية

نعم، تلك خلوته العراقية، التي شرحها في حياته ومقدمه،
وهذه خلوته المصرية، التي حكاها وعرف بها في مقدمه

نعم، لقد رأيت الشروط التي تجب توافرها في خلوة
الصوفي، كما حددتها بالعزلة

وها أنت قد رأيت مدى انطباق هذه الشروط، كما حددتها
هو نفسه

فهل كانت عزلته العراقية مطلقة، أم مع خلوته العلمية،
فتصبح خلوة حقيقية إذا، وهي تجمعه ومتعلقه، فتصبح خلوة
صورية؟

نعم، رأيت سابقاً أن إعراضه عن الدنيا لم يكن موجوداً عند
المرأة، إذ بقي معه قدر الكفاف وقوت الأساس، ومع توكل في
حقهم، ثقة جميعهم سينعمون بقوت يرزقهم وعيشه!!

وكذلك إعراضه عن أولاده ما كان موجوداً، حيث تجمعهم
معه، وحيث كان يسهر على راحتهم!

ورأيت أيضاً أنه كان يكتب الإجازات وأنه كان يعقد

(١) « مقدمة ص ٦٢ »

وأنه كل يعطى من حقه، والصوفية [illegible] من شروط خلوة الصحبة، كما سبق بيانه، هو قصة الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم، حتى عن فرائض العبادات، وتأمل في التفسير والحديث، والكلام وغير ذلك.

ومن حق الأخوة أن يحب الأخ في الله ويبغض فيه، كما في صفة الصوفية حقه.

فمن معنى ذلك أنه يصح منه كل ما يفعله في الله، ومنه في حب الله، ومن ذلك ما ذكر من أخوة، وهذه أخوة، كما قال هو، وهي كذلك فيما بينه وبين ربه.

أو نحو ذلك من أخوة، يرجع فرد منها إلى كل أفراد، تتحرك فيه دواعي، وهذه الهمم، وهي أولاد، ومال، وحسن خلق، ومودة في معاشرة الأخوة، وقضاء الصحبة، وشعور بالخوف من السلطان.

فقول هذا، لأنه يراه كما تقدم، لحق الله، وأولاد، ونحو ذلك، أو حسن الصحبة، حق الأخوة وهذه.

ومن الغريب أن [illegible] وقد حرك فيه داعية فريضة الحج، [illegible] ذكر الحج كان

وزاره يرسوم في آخر عمره

وهذه ملاحظة [illegible]

لذا يذكر الحج الآن، وهو يوم حاله [illegible] في ذلك

سبيلا ؛ [1]

فلماذا يذكر آل محمد عليه السلام وعترته ، مع أنه لم يكن
من ذراهيم حينه

فلماذا يذكر الحج وهو في آخر مرحلته ، وعندما تحركت فيه
داعية الرجوع إلى بلده العراق ، فحسب ؟

ثم إنه كما يقول

حدثته الهمم ، ودعوت الأصفياء إلى الوطن فعاوده

ثم هو يريد العوده إلى الوطن ، ولكنه خرج من بغداد ،
تحت ستار الذهاب إلى مكة ، فكيف يعود إليها وهو يحج بعد
أن قصد الحج إلى مكة ويتجه نحو قبر الرسول ، ولو
كان ذلك اضطرارا لا اختيارا

٦٤ — الحسين
الثوري يعترض
على عبده

ومن صدق لهجته في حديثه عن العراق يعترض على عبده ،
وكأنه يقول له :

أبيت المرة واخوته ، وأين هذا مما كنت تحدث
هذه الرعيات ، عن كل حين وحين ، في حكمتها والمعرفة بها ،
حتى تعد رجوعك من الشام

فتقول لهم

لا تعترضوا فقد آثرت المرة على ، تعذر رجوعي من الشام

(١) وقد نقل هذه الآية [illegible] وقال إنها [illegible] وفي
ذلك أولاد [illegible] من [illegible]

حرصاً على الخلوة ، و عنفية للنفس بالذكر [1]

نعم !

لفرض أنه أتم ذكر كذا ، و ذكر كذا ، و ذكر كذا ، و ذكر كذا ، فما الذي يؤمن به

ولكن حلوات لي بعقب هذه الركعات ، وهذه الأعمال لا يمكن أن تكون خلوة صحيحة صوفية ، مستوفية الشروط ، مكتملة الأركان لي حكمتها أنا .

و عبارة ذوق هي غير موصلة إلى الله ، بل و لا تدخل صاحبها في زمرة المقربين ، فضلاً عن أنه لا يمكن أن يكون في عداد المتصوفين

وكأني به يريد أن يؤكد أن هذا الحكم صدر عن ذوق خاص

إن حوادث الزمان ، وتجارب الحياة ، وضرورات المعاش ، كانت تعوق وجه المراد ، و تحول على نحو الخلوة [2]

نعم !!

إن معنى هذا أن العارف يريد أن يقول لنا إنه لم تختل خلوته صحيحة ، وعمله صافية صادقة !

يريد أن يقول لنا إنه لم يكن صفو له إلا في أوقات متفرقة !

وهل كان يقنع بهذه الخلوة ، و يكتفي فيها بوصلته إلى الله فعلاً

---

(١) المنقذ ص ٦٧ ، (٢) المنقذ ص ٩٧ .

يقول

« وسكنى ، فقطع صمعى فيها ، وبدكا دفعنى العوائق عنها ، عدت إليها »

ومتى يقطع العراقى صمعه فيها ، ويسكن ، ولا تعود إليها ، بعد هذا الحوانه عندى ؟

١٥ — وأخيرا وبعد كل ما عنده من شائل سؤلا صريحا ، وأرجوك وفى الإجابة عليه صراحة أيضا ، وهو

هل تصح العراق بعد أمره صوفيا حقا

يصح العراقى

أنه فى عرسه كان حريصا على أن يسعده ، وكان متعلقا بأولاد فصحبهم ، وكان فى تدريس ، وعقد حلقات الصوفية ، وبالتحدث بسيرتهم ، وشراء أيدهم ، ومحالاتهم ، وشرح أحوالهم ، متوخيا كل ذلك ، بكتابة جيدة الخط .

وكان مؤديا فرضه بخير ، آثرا فى الرسول كما زار الخليل عليه السلام ، وكان يحدثه بمسه ، ودعوات أصحابه نحو الوطن .

وكانت حوادث الزمن ، ومهمات العيش ، وضرورات المعاش تملأ قلبه ، وتملك حواسه

يخبرنا العراقى بأن كل هذا

كان يغير فيه وجه المراد ، ويشوش عليه صفو الخلوة !

* * *

نعم بعد أن قدمنا بين يدي كل هذا : أعتقد أنه من السهل الإجابة على السؤال السابق ، مع التفكير في الإجابة على سؤال جديد وهو

هل غزلة كهذه يمكن أن يخرج فيها صوفي ؟

وهل هذه غزلة تتوفر فيها الشرائط التي يشترطها الصوفيون ، كما شرحنا ذلك من قبل ؟

نعم ، قد يمكن أن نسمي غزلة وجوه

نعم ، وقد يمكن أن نسميها غزلة وجوه ، وغزلة كذلك

ولكن هل هذه الغزلة الغزلية الحسية ، مضيفة تماما على الغزلة الغزلية الصوفية ، التي حكاها وشرحها هو نفسه في الإحياء ؟

ولكن هل صاحب هذه الغزلة الصوفية ، ورجل تلك الوجوه الافتراضية ، يمكن أن يعتبر صوفي حقا ، ويجب أن يعتبر صوفي صورة ، وافتراضا فحسب ؟ ؟ ؟

أعتقد أنه من السهل والواضح الإجابة على هذين السؤالين ، بعد الذي قدمنا

٥ — صاروا بعد الخلوة والعزلة

هل ارتبطوا فى سلك التصوف المرغوب فيه؟

أو الرجوع الى التعليم المرغوب فيه

٦١ — عدد جميع مرتبطى الصوفية

رجع العراقى من الشام ، ووصل طلوس مسقط رأسه ، منفصلا الخلوة والاعتزال ، وفى آخر أيام عزلته التى دامت عشر سنوات أو تزيد ، أحس شيئا جديدا ، حدثنا به فى المقدمة بقوله

لمس « أن قد عم الداء ، ومرض الأصحاء ، وأشرف الحق على الهلاك ، وأحس فتور الخلق ، وضعف يقينهم »[1]

ورأى أيضا « من خاص منهم فى علم الفلسفة ، أو انكب على الباطنية ، أو وسم بعين من الناس ، أو عرف شيئا من التصوف[2] »

ثم رأى العراقى

أن جميع هؤلاء يوردون شبها ، ويبتهقتون أحرفها ، ويعرضون أسماء ، ويلبسون حقائقها ، تلبيسا يمرح الدين ، ومجانبة تعاليم الرسول الأمين

ولمس أيضا « أن نفسه ميتة بالغفلة المقتدرة ، تدحض الرأى

(١) « مقدمة ص ٨٨ »

(٢) « مقدمة ص ٨٤ و ٨٥ »

الحاصل ، والنظر غير المستقيم ، حتى أن فصيح هؤلاء عنده أيسر من شربة ماء »[1]

فهو العالم بكل فن ، السابح في كل بحر ، حيث خاض بحار الفلاسفة ، والباطنية ، والمتكلمين ، والصوفية

ثم أحس أن فصيح هؤلاء « ما دام قد راعى ذلك متعلق عليه ومحوم لديه »[2]

هذه هي الأسباب التي دفعت الغزالي للخروج من عزلته ، وها نحن سنتناولها بالنقد والتحليل

٩٧ — الدافع الحقيقي إحساس الغزالي بأزمته عزلته

أما أنه قد علم الناس وأشرف الخلق على الهلاك !!

فعادا

هل حدثت حادثة قوية شعر الغزالي بالفرق بين حال العامة الآن ، وبين حالهم قبلا ؟!

هل فتور دينهم ، وضعف يقينهم ، الذي يرجع إلى خوضهم في الفلسفة ، وشغلهم بأوهامها ، وبالتصوف وتعلقهم بخيالاته ، وبالنعم وتشدقهم بشهاته ، وبالأماني ومعصوماته ، لم يكن موجودا قبلا ؟

هل عالمهم كان خاليا منها . عندما خاض الفلاسفة ، وخاصم التعليميين ، فبدد الأوهام والضلالات . ودرس في النظامية ، فأثبت رأي الشرع ، وقوى حجة الدين

---

(١) « منقذ ص ٨٧ » (٢) « منقذ ص ٨٨ » .

هل جاهم كل الناس كجاهلهم، عندما تركهم مؤسسات التدريس غير نافع وغير مهم، وأن العلوم التي يقوم بتدريسها غير مهمة وغير نافعة؟

إن ورقي [illegible] هو الحق، وليس هو الباطل، وإنما هو [illegible]. ومواد التعليم معدة لتعليم مستويات، حيث إنه إذا عاد إلى مستوى، فستجد لها منهجا محدودا، وتعليما موضوعيا، لا يمكنك من سوء تصرفه، ولا يقدر أستاذه على تعليمه، فهي علوم شرعية، ومن بدو حولها من الآيات والكلاميات، اللهم إلا بعض أجزاء الأسانيد، وقليلا من جنس التصرف

هذا ولا حيث عن [illegible]

ما [illegible] فقد مرضهم [illegible]

مرض الأطباء

من العرض يريد أن يفهمنا أن علماء العقول قد ضعفت، وأطباء الأرواح قد مرضت

ولكن ليس هو نفسه واحد من هؤلاء [illegible]

فهل هو ضعيف ومريض؟

يجيب عن هذا السؤال قائلا: إنه صحيح قوي الإرادة عقلا، والقدرة تتحكم فيه، وفصح هؤلاء الذين يشكون الشبهات، ويعتقون بأوهامهم، [illegible] عنده من شرائعه،

نعم، إنه يريد أن يفهمنا أن هناك مرضى كثيرين، وفي خطر، ومشرفين على الهلاك.

ن هناك وباء ، قد عم الناس أجمعين ؟

نعم ، وهناك أيضا أشياء ، ولكنهم مرضى . وكيف يداوى المرض السليم

ويريد أن يعلمنا أن هناك طبيبا ، يعرف سر جميع الأمراض ، يدرى وجوهها جميعا ، وهذا الطبيب ، قوى وقادر على أن يتيح لنفسه ، لكل مريض ، وطول حياته ومرضه

يد من هذا القوى على كل شيء ؟

هو الله سبحانه

ومن هو الأستاذ المرشد

هو الموسوعات العلمية ، والفلاسفة ، وبعض الصوفية ؟

ومن هو الطبيب البارع ، القوى القدير ؟

هو حجة الإسلام ، وإمام المتصوفين ، أبو حامد الغزالى ؟

نعم ، هذا هو من يريد أن يهبنا إياه

يد فلو حدث على الغزالى أن عاد من موته ، ليتيح الناس ٦٨ — [illegible] ن الناس أجمعين ، ولستشفيه من الضلال

ولكنه لم يحص ، ولم يعتزل الناس ، ابتداء

لم يعتزلهم عن ضعف الحق بحجته[1] »

كيف هذا ، مع أنه قوى وقادر ؟ فلنصحهم[2] بالحجة

---

(١) [illegible] (٢) [illegible] عنهم لأن [illegible] ، ولو أنه عاد عن ذلك

طبعاً — عنده أيسر من شربة ماء[1]

٢ — ولأنه يشعر أنه لن يستطيع كشف هذه الغمة، ومصادمة هذه الطغمة، والزمان زمان الفترة، والدور دور الباطل[2]».

إذن هو شعر ضعفه، وعدم قدرته على الاستقلال بمحاربة هؤلاء الطغاة.

إذن هو ليس قادراً على قمعهم، لأنه غير قادر على محاربتهم ومحاجتهم.

٣ — «ولأنه سيعادي هؤلاء الزمان بأجمعهم، إذا اشتغل بدعوته الحق على شرهم إلى الخير، ولن يستطيع أن يقاومهم، فكيف يعاديهم»[3].

إذن هو يخاف الناس، ويخاف مقاومتهم، ويعمل على عدم معاداتهم، لأنه يعيشهم، ولا بد أن يعايشهم.

وهذا يجب عليه أن يسكت على امتهان الدين، ودوس حرمات الإسلام.

ثم لأنه يريد أن يعيش، ويعيش في سلام، وأمان واطمئنان، أما اقتداؤه بالمرسلين وبالنبي ﷺ وبآيات القرآن التي رددها عدة أسطر، وفي هذه الصفحة مثل

«ولقد كذبت رسل من قبلك، فصبروا على ما كذبوا..

---

(١) د. مندور ص ٨٧. (٢) د. مندور ص ٨٨. (٣) د. مندور ص ٨٨.

وغير ذلك من الآيات »

فلا يهم ، ولتسكت العراق ، ولتبق على عزلته !

٦٩ مقدمات الحكمة بنتج ما يريد العراق

يخلص العراق بعد أن حلل ما قدمه إلى قوله

« إني أرى أن ذلك لا يتم إلا بزمان مساعد ، وسلطان متدين قاهر[1] »

يعني : أن هذه النتيجة التي انتهى إليها ، هي ما ستكون مقدمة ، ليترتب على أثرها نتيجة أخرى ، فيقول

« ولكن ؛ قدر الله داعية سلطان الوقت من نفسه - لا تحريك من خارج - فأمر ثم إلزام ما يهوس في نفسه ، بادارك هذه الفترة ، وبلغ الإلزام حدا كاد ينتهي - لو أصروا على الخلاف - إلى حد الوحشة »[2]

٧٠ مقدمات النتائج بعض ما يحتاج منه أخرى

ولكن مادا حرض العراق على أن يفهم أن ذلك ، كان يدافع من نفس السلطان ، لا بإشارة من خارج ؟

فهل سمع أن أحدا ممن يهمهم أمره ، أو ممن يخلصون له النصح ، و يصدقون له القول من حاشية الإمام ، أشار عليه بذلك بناء على نصيح من العراق ، فاضطر أن يبني هذا ؟

قد يكون !!

ولكن مادا حرض نفسه على أن يفهم ، أن الإمام أمره أن يلزم ، لدرجة أنه لو لم يلتزم أمره ، لحصلت القطيعة بينهما ؟

---

(١) المصدر ص ٨٨ ، (٢) المصدر ص ٨٨ .

لماذا فعل هذا؟

هل كانت نفسه توسوس إليه بالقتل في سره، مع أنه لم
يضمر، ولم ينو، لا بدو وجود النفس لخواطرها، نفسه ويقوته،
وأنفسهم يكون

٧٢ - إعطاء الله ... وليس ... عن الله ... في أمر معروف، ... عن المنكر ... حض في الأمر

ولكن لما خاف عليه ... ليس ... منتهيا في معاشه، ... حض في الأمر ...

ثم لم يحض هو في الأمر ... ليس ... فلا ... له ... لأن ... عوته؟

... يكن ... حض ... كان ليس ... حوفه على نفسه ... في ... ، ... على ... ،
ولكن ... خوفه ... من ... ، ... من خوفه ... ، ... حض ... الأمر ...

ثم على ... الله ... حض ... محكمة، ومتشابهها متشابهة!

٧٣ ... لم يزد ... على هذا، وكأنه قد حس ... عن ليس ... أو ... على ... حض ... الأمر ...

... ليس ... حضه في الأمر قد ضعف ... في الأمر؟

... في إمكانه أن يستمر على نهيه

هذا ما يريد أن يفعله ، لأنه يريد أن يقول كلاما
جديدا ، ولأنه يريد أن يخرج من نفسه عرضة لآخر بعضه قتلاله

« لا ينبغي أن نكون بعثنا على ملامة أحد . الكيس
والأحمق ، وحسب الناس وسوسا على أدنى الخلق

أن نسمع قول الله عز

بسم الله الرحمن الرحيم ... حسب الناس أن يتركوا
يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم ، فليعلمن الله
الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين

ثم نسمع قول الله ورسوله وهو أعلم بحقيقة

ولقد كذبت رسل من قبلك ، فصبروا على ما كذبوا وأوذوا
حتى أتاهم نصرنا ، ولا مبدل لكلمات الله ، ولقد جاءك من نبأ
المرسلين

ثم نسمع قول الله جل جلاله

بسم الله الرحمن الرحيم ... إن ربك هو العزيز الحكيم ... إن قوله
إنه لقول رسول كريم [1]

ما هذا

أهذه الآيات التي نزلت عندما سكت عن الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر ، خوفا من عدو الناس ، ومداهنتهم له

(١) سورة التكوير ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠

ألم يعرف ، أنه لا ينبغى له أن يكون الباعث على عزلته وسكونه ، الراحة والكسل ؟

نعم العراقى يعرف كل ذلك ، وهو واع لكل هذا ، عارف لما يقول ، متقط لما كتب

ولكنه اعتزل واتعد ، فأراد أن يشرع العزلة والخلوة ، فيأتيك بالأدلة ، ويجمع لك البراهين ، ويحشد لك كل ما يستطيع ، تدليلا على صحة ما فعل

ولكن السلطان بأمره بعدم العزلة ، وبالهبوط إلى بيسابور ، فأراد أن يشرع العمل ، والتدريس والتعليم ، فيأتيك بالأدلة ، ويجمع لك البراهين ، ويحشد لديك كل ما يستطيع ، تدليلا على صحة ما سيفعل أيضا !!

نعم يريد أن يجعلك تؤمن أن ما فعله كله حق ، وأن الحق هو كل ما سيفعل !!

«الحق لديه حق ، لا لأنه حق فى ذاته ، ولكن لأنه هو ما يريد »

٧٣ تشابه فى التفكير بين خروج الغزالى من بغداد وتركه التدريس ، وبين ذهابه لنيسابور وعوده إلى التدريس

وأيضا نجد ملاحظة هامة ودقيقة على أسلوب الغزالى الفكرى عند ما خرج من بغداد ، وترك التدريس ، وعلى أسلوبه عند ما رجع إلى نيسابور ، وعاد إلى التدريس

فهب أنك نظرت فى الماضى القريب ، فتفحصت أسلوب العراقى

الفكرى والنفسى ، بل والنفسى ، لو حدثناه واحداً ، عندما ترك بغداد ، وقصد بيده من التدريس . وعندما عاد إلى نيسابور ، مقبلا على الدرس والتعليم .

فهناك ، فى بغداد ، بدأ يراقب أحواله وأعماله ، ويجد أن نفسه على شفا جرف هار ، فيعزم فى التفكير للخروج من هذه الشكوك ، ويظل مدة من الزمان ، يقدم رجلا ويؤخر أخرى ، وأخيرا يصح العزم « فيلجأ إلى الله الذى تسهل عليه الخروج من بغداد »

فيترك التدريس جانحا إلى العزلة والفرار !

وهنا فى العزلة ، يبدأ يراقب نفسه ، وخلوته واعتزاله ، فيجد أن نفسه أيضا على شفا جرف هار ، فيعزم فى التفكير مدة من الزمان ، ليخرج من هذه الحيرة ، وتلك الشكوك . فيقدم رجلا نحو الخروج من هذه العزلة ، ويؤخر أخرى ، فلا يتركها حتى تأمره بإمام ، وأخيرا « يلجأ إلى الله الذى ييسر عنده الحركة إلى نيسابور » وترك الخلوة ، والعودة إلى التدريس والتحصيل

نعم ، هناك فى بغداد ، يرى أن أسلوبه التفكيرى ، وحيرته النفسية ، وما يدور بخلده من معان وخواطر ، وما يتخبط فى ضميره من شكوك وهواجس ، وما يقصد به من أقوال ، وما يقوم به من أعمال .

يرى ذلك ؛ هو نفس الأسلوب الذى قام به هنا فى خلوته ، ولو ضممنا هذا إلى ما سبق من نقدات ، لتحتم علينا أن نعتقد أن العزالى

كل في كل ما صدره ، فتارة يسمه من عقله واحده ، وعكيره واحد ، ومنصف وحده ، وعقله واحده ، ويسير نحو هدف ما يبدو

انهم يلاحظون ، ويتأملون ، ومرجع ذلك فقط ، ممر لومي للعرض ، وبلاستيك التي لا تستعرضه وعوده ، ثم لمده التي تقصد بها خركس ، حركة خروج من بعداد و بالشمس ، ، ، كه مدحون بن بسيو ومعوده العظيم ، حس ، ، ، على عشر سنين عدد

وهذا ، ، ، ، أكيد ، ، قتل لا كما بين خركس ، لا يكاد يتم

بن خوده عرفه ، ، ، عد عرش شاشة لا في وجه سكره ، ولا في و ، ، ، ون ، ، ، ولا في عقله و ، ، ، ، ولا في شكله واستقامته

وهذه في كتاب حديقة غرفه كما عند ، ، ، واضيه خشب

ما هو تر ، ، ، تدس حتى قرص مدد الارض ، ، ، بالشام حقيقة ، ، ، ن صخره ، ، ، ت نفس ، وشق على نفسه ، ، ، دمشق بكل أكيد

وبكل كل ذلك كله عما ، ، ، محصن ، ، ، شيء من روحه ، وما ، ، ، شق من عقله وما ، ، ، ق به يوحي من صخره ، وهلم من نفسه

وهذا ، ، ، دفع بحركة أولى ، هو ، ، ، دفع بحركة ثانية ، وكما يقولون

ما شبه بيئة ، ، ، سرحة ،

وسكن العربي يشعر بكل هذا ، فيميل إلى أن يدل على أن هذا الرجوع ، وتلك العودة ، لا تصح

هذا مع ملاحظة أن هذا

لأنه كان

ولأن

ومن

وشعر

فأراد أن

— ١٣٩ —

والعودة إلى التدريس حدثنا أنه .

ا — شاور فى ذلك جماعة من أرباب القلوب والمشاهدات ، فاتفقوا على الإشارة بترك العراق ، والخروج من الزاوية[1]

ب — وأخبرنه كثرة متواترة من الصالحين ، أنها رأت فى المنام ، ما يشهد بأن هذه الحركة مبدأ خير ورشد[2]

ج — وأن الله قد تبث الحركة على رأس هذه المائة ، حيث قد وعد الله بإحياء دينه ، وذلك بإرسال مصلح على رأس كل مائة[3]

فاستحكم لديه الرجاء ، وعلت عليه حسن الظن ، بسبب هذه الشهادات[4]

٧٥ تحسن الظن بظهور ما استبشرت به رأته

وأخيرًا ، هدأت نفس أن العراق ، كما حدثنا هو بذلك أصبح قائد حركة كلها خير ورشد[5]

مصلح القرن[6]

مبعوث الله لإحياء دينه[7]

هذه معان ألقتها نفسه ، وحملها على شعوره ، ولو وافته على لسان الصالحين ، الذين رأوا فى منامهم ما يدل على ذلك

لا أريد أن أفرض أن العراق لا يفهم قيمة الإسلام فى الإسلام ، بل الذى لا شك فيه أن العراق عرف حد المعرفة ، أن الإسلام دين المنطق السليم ، والعقل الحر ، لا دين الرؤيا والأحلام ،

---

(١) «منقذ ص ٤٨٩» (٢) «منقذ ص ٤٨٩» (٣) «منقذ ص ٤٨٩» .
(٤) «منقذ ص ٤٩٠» . (٥) «منقذ ص ٤٨٩» . (٦) «منقذ ص ٤٨٩» .
(٧) «منقذ ص ٤٨٩»

والمنامات والأوهام، أو على الأقل - كان يجب عليه أن يعرف هذا!

٧٩ - باسم الله مجراها ومرساها

وأخيرًا، وفي ذي القعدة سنة ٨٨ هـ، ينحرف القافلة إلى الأمام فباسم الله مجراها ومرساها.

باسم الله مجراها من طوس، وباسم الله مرساها إلى نيسابور

باسم الله مجراها من الخلوة والاعتزال، وباسم الله مرساها إلى التدريس والنضال

• • •

الحق والتاريخ

وإلى هنا ينتهي نقدنا، وتوجيهنا لتلك الاعترافات، كما يريد المنصف، والحق، والتاريخ، مؤمنين بصدق كل كلمة كتبناها، محصين في إرسال كل فكرة سحدناها، متحملين كل المسئولية أمام الله، وأمام التاريخ، وأمام الغزالي نفسه؛ عن كل نظرية أصدرناها، معتقدين:

«أن الله أراد الحق حقًا، ووفق لاتباعه، وأراد الباطل باطلًا، ووفق لاجتنابه»[1].

---

(١) ٥ من ٩١ ه.

الباب السابع

الاعتذار

ـ الاعتذار الأول ، وهو اعتذار غير مقبول

١ ـ
٢
٣ ـ
٤ ـ

ـ ـ الاعتذار الثاني ، وهو اعتذار مقبول

٥
٦
٧
٨
٩

١٠ ـ
١١
١٢ ـ
١٣

١٤
١٥

١٦ — وقد [illegible] بعد أن يبقى هذا الاعتذار للغزالى
كريمة و[illegible]
١٧ — [illegible]

(أ) المنقذ ليس بتاريخ حقيقى للغزالى

(ب) اعترافات الغزالى فى المنقذ هى عتابية

(ج) تاريخ الغزالى فى المنقذ هو قصة،
وأبو حامد بطلها

(د) على المستشرقين وتلاميذهم أن يراعوا
ما كتبوا، فقد يقضوا ما أبرموا

خصائص هذه الرسالة أو المحاورة فى أسلوب وطابع البحث

١٨ [illegible]
١٩ — [illegible] وبعدها عن الإطالة
٢٠ [illegible]
٢١ [illegible]
٢٢ [illegible]

١ — الاعتراف الأول ، وهو اعتراف غير مقبول

لا نزاع في أنه توجد اعترافات للمرضى في العقد — كما رأيت — هي غير مطابقة للواقع ، ولعل في حينما اعترف بها كان متأكدا أن اعترافه هذا غير صحيح

ولكن هلا يمكن أن نعلل له في هذا اعترافه ، وهو تركه التدريس ، ورجوعه إليه ، فقال :

ولعل في عندما اعترف بأن تركه من التدريس ، كسب الجاه والشهرة

وعندما اعترف بأن رغبته عند هربه من بغداد : هي حاجته إلى المال ، وعتاب الأهل ، والملل ، واليأس

أقول عندما اعترف بذلك ، كانت في الواقع هذه النية ، وتلك الرغبة ، عن صدق في نفسه ، وإخلاص في ضميره ، ودافع من وحي شعوره ، وإلهام من وراء نفسه ، وكان فعلا يريد أن يسير السيرة الصوفية الحقة ، من زهد في الدنيا ، وترك كل العلائق تركا تاما ، والانخلاع من مشاغل هذه الحياة ، انخلاعا كاملا أكيدا

أقول عندما اعترف ، كان يريد فعلا كل ذلك ، ولكن

١ — اعترافات هرى صادقة من الناحية النفسية ولكن حقيقة شخصية لم يدركه من حوله

من العراق إلا شعور بين حنينه نفس والنفس دائمة الحنين إلى وطنها، وبين صلوعه قلب يحن إلى الولد، والأهل، والمنزل، والأصحاب، والوطن، فهو يحاول أن يتخلص من شريته، كما يحاول أن يعرض عن الدنيا بكليتها، ويتجه إلى الله، ليرضى عنه

فرجع إلى ما كان، وعاد إلى ما عزم على تركه عزماً عنه، سيما أنه كما صرح كان بينه وبين التدريس بغداد، كسب الجاه والشهرة، ما بينه وبين الدرس بالنجف، فهي الدعوة إلى العمل الذي به يرث الجاه والنفس، هذه نفسه أولاً، وتلك بينه ثانياً، وبكل أسف، ما يلي

هم يحاولون إفقاده، ويعتذرون عنه بذلك

ولكن هل هذا العذر مقبول

سيرى

هل عرف العراق أنه، يحاول أن يفسح إلى عودته الشوط الذي أراده، وأحس أنه عجز عن أن يمضي إلى تلك الحالة التي اشتهاها، والتي عمل لأجلها

هل شعر العراق بذلك العجز وأحسه وعرفه

أو لم يشعر أنه عجز عن الوصول إلى ما أراد، بل تأكد أنه قد وصل إلى ما طلب، وانتهى إلى ما سعى، مع يقينه بذلك، وتحققه من هذا

هم لا نزاع في أنه إنما كان يكون هذا، أو ذاك

فإذا كانت الخلة الأولى هي أن لا يستتر، أي لا يحس بخبره على الوصول إلى ما يريد رغما عنه، فمعلوم أنه يصرح بهذا. فلما أنه قد عود ذلك قبلا، عند ما ترك التدريس بمعداد، معللا صلاله وريبه، وأعلن توبته

٢ — يحس المقر له بخبره على الوصول إلى ما يريد، وعند ذلك

وقد عرف به، فلم يكن له أن يقضي بما ادعاه من نسبه في المعد، وهو مما لا يعترف بمصيره، وهو صريح، ومن مصاير اللغو والإيمان

ثم قد صرح قبل هذا بأنه وصل إلى أمور لا يمكن إخفاؤها، ولا استطاعت أن تكتم على أنه انخرط في سلك المتصوفين، وانغمر في غمار الصوفية

فكل هذا، فيما يظهر لي، أمور يعترف بها المقر، ويحس هذا المقر، وهو يعلم ذلك أيضا

٣ — يحس من وصله إلى غرضه، وعند هذه الغاية

ثم وقد بلغت حالته تلك، وهي التي لا يشعر بذلك المقر، ولا يهتدي لإخفائه، بل يحس أنه وصل إلى ما يريد، وتأكد أنه انتهى إلى ما يطلب، فقد عاد إلا أن تزول تلك الحالة بالتدريس والتحبيس

ثم إن تصريحات المقر وعترفاته، تؤكد لنا حصول ذلك الزعم، وعلى هذا الرأي

١ — إذ نراه عندما صدق نيته، وتصح عزيمته على الخروج من بغداد، والهرب من الرياء، يقع في الرياء عن عمد وقصد، حينما

يتظاهر بالخروج إلى الحج، وهو يبطن في نفسه السفر إلى الشام؛ ولو كان مقتنعاً بأن التدريس رياء وتمثيل، ما كان يمكنه أن يترك الرياء يقع في الرياء والتمثيل بعمد واختيار

٢ — وراه عندما عزم على ترك أخيه، وحبه التدريس، يخاف على نفسه ومقصده أن يألف نفسه الجاه الجديد، حياة الهدوء والراحة، فلا تتسع له معهوده الدرس والتعليم

٣ — وراه عندما يترك التدريس، لأنه ضيق وعائق ونافع وغير مهم، ليس عنده أحد

٤ — وراه عندما يعترض عليه أنه عدد، أنه كيف يترك أعلى منصب في الدين، يقول لهم: بل ذلك منصب من المنابر، فهناك منصب أعلى وأعلى، هناك منصب وأقدس، هناك مصلح القرن، ومجدد المائة، ومبعوث الله

٥ — وراه: عندما يقول بشرط خلوه، الإعراض عن الناس، والوحدة، والوطن، وعدم الاشتغال بأي شيء؛ حتى قراءة القرآن، صرح في نفس الصفحة، بأنه أحب المال فاسترقاه، والأولاد فصحبهم، والوطن فخربه، والتأليف فكتب إحياءه، والدرس فمقد حققت الوعظ والإرشاد

٦ — وراه بعد هذا كله أن كل هذه العلائق كانت تغير فيه وجه المراد، وتشوش عليه صفو الخلوة» كما يقول هو نفسه أي أنه لم يمكنه أن يصل إلى ما يريد فعلاً، وصولاً كاملاً أكيداً

٧ ويرى ... كما يصرح ، أنه يعمل كل هذا من هرب ، وخلوة ، واعتزال ، ليسير على نهج صوفي ، كما كان حصنه تماما من عقوبتهم ، كما قال هو نفسه . لا كما أحس ذلك دافع من نفسه

٨ ويراه ... يعرف أنه يرخص في عصيان الله ، فلم يأمر بالمعروف ، ونهيه عن المنكر

٩ ويراه ... يعرف أنه ... فيح عن الإسلام ... مع أنه صرح بأن ذلك متعين عليه ، ومحتوم لديه ، حتى لا تصيب سواه ... لأنه يريد أن يعيش في هدوء ، وسلام واطمئنان ، بدلا من معاداة الناس ومقاومتهم

١٠ — ويراه ... يعرف أيضا ، أنه قام إلى الأمر بالمعروف ، ونهيه عن الإسلام ، وإلى التدريس بنيسابور ، لأن السلطان أمره أمر إلزام وتحتيم .

١١ وأخيرا يرى العراقي كذلك ، وهو يعهد ... كتب ، ويعترف ، وهو يعرف دقائق عبارته ، وتقول ، وهو يتيقظ لكلماته ، ويكتب بالعربية ، وأسلوب جزل للفظ مستقيم المعنى ، فلا يمكن أن يقال إن اللفظ قد حاد به ، أو أن التعبير قد جره إلى ما لا يريد ، أو أنه يحمّل ألفاظه ما لا تحمل وتطيق

لكل هذا ، فنحن نعتقد سلامة هذه النقاط

أن العراقي يعرف أنه لم يصل إلى ما يريد .

وأنه يؤمن ... بأن كل ما فعله كان غير موصل له .

ويؤمن أنه لا يحس هذا الوصول

ويؤمن بأنه غير صادق في هذه الاعترافات المزعومة المخترعة.

كما يعتقد حين أنه يحضر إليه، فيقف منصتا متمهلا وبأنه يراد للدوران عن قصبة، وتركيبه غير مستساغ، فيفرض صلاة هذه الأركان، ثم يفرض صحة هذه القصبة، ومن ثم يحس للناس هذا الفرض، ويطلب منهم تصديقه، ولا يشك

بعد هذا في مضطرا أن يقول

إن هذه الاعترافات

ليست باعترافات رجل مراد هدى، ولكنه يحس المخترع الوصول إليه، فأعان الناس هذا العجز، وأتمها ما اكتنفه من غموض

ويست اعترافات رجل مراد هدى، واعتقد أنه وصل إليه، بينما لم يصل فعلا

ولكنها اعترافات رجل مراد هدى، ولم يصل إليه، وعرف أنه لم يصل إليه فعلا

ومع هذا فقد أراد أن يحمل الناس على تصديق أنه وصل، فساق أدلة، وأسس الاعترافات، من هنا، ومن هناك، متهافتة متحدة، متناقضة متعارضة، لا تنتج صحة، ولا تبعض صحة، ولا تصحح قضية

ولكن هلا يمكن بالبحث والتنقيب، والغوص والتأويل، أن نعثر على عذر يعتذر به للغزالى؟

٥ — الغزالى حجة الإسلام، وزين الدين، والذى يعده المسلمون

فالغزالى حجة الإسلام، وزين المسلمين، ومؤلف الشريعة، وكاشف الحقيقة، وعالم الأصول، وعمدة المتكلمين، وهادم الفلسفة، ومسفه الباطنيين، وزعيم المتصوفين.

والغزالى: رجل الشريعة والحقيقة، عالم الظاهر والباطن، هو بين العلماء محترم، وبين جلسته مبجل. آثاره فى كل منزل، وعقائده وأوراده فى كل بيت، يبتهج بها لسان كل مسلم، فهو مقدس من مسلمى الكرة الأرضية بلا نزاع.

٦ — الغزالى وتصوف الإسلام؛ الذى يستغرقه

هذا فى العالم الإسلامى. أما فى العالم الأوربى، أو بعبارة أدق: عالم المستشرقين، فهو متصوف الإسلام الوحيد، وهو رجل المفكر الحر؛ فى ظلمات العصور الوسطى. وهو صاحب الحرية الدينية الأصيلة، وهو المرجع فى الإسلام، بعد محمد عليه السلام، وبعد البخارى والأشعرى، كما قال روبير على ما ذكر.

ومن الغريب أن هذا الكتاب؛ كتاب الغزالى، المقدم الضلال، والموصل إلى ذى العزة والجلال، الذى أرسل فيه

اعترافاته، والذى به أفرح حياته، ولذى فيه كشف للناس عن دخائل نفسه، هذا الكتاب هو الذى رفعه إلى مصاف كثير من الفلاسفة العربيين، ... أمثال ابن حوشتى، وابن تومرت، وابن كمال، وديكارت، حينما أدعوا مذكراتهم واعترافاتهم، مثلهن فيها تاريخ حياتهم، سافرين عن سفورها عن نفس الإنسانية، مرسلة على طبيعتها، لم يخجلها رياء، ولم يدخل عليها تزويق، أو تحسين

٧ — الغزالى قوة الغزالى وضعفه

والغزالى أيضاً هو الذى كتب فيه الكتب، والذى ارتفع على أكتاف دراسته، كثير من الباحثين، وبعضهم من أقرب الوسطى إلى الآن، وكلهم محترمه، ممجل آرائه، مكبر لأفكاره

ولكن هناك شيء نقد وجه إليه، فى وجه أبداً؛ لكتابه المنقذ، وما يحوى من اعترافات وآراء، لأن المستشرقين، وبعض من المسلمين، ما تصوروا أن رجلاً ثبت وأكد، من تاريخ رجل فى سن الخمسين، لكنه حفظه، ويرسل تلك اعترافاته تحوى ما شاء من نقص، فتنزل به إلى الحضيض، كما تحوى ما يرفع ويسمو فتصعد به إلى أعلى الدرجات

وعلى كلا الحالين فهو اعتراف، والاعتراف دائماً وأبداً، من دلائل القوة، وعلائم الحرية الفكرية، والإيمان العميق

٨ — الغزالى استاد الفلاسفة الدينيين الأوربيين فى العصور الوسطى

والغزالى أيضاً هو الذى تتلمذ عليه فحول الفلاسفة الدينيين، الأوربيين فى العصور الوسطى، أمثال سان توماس وأشباهه،

فاتخذوا آراءه حجة ، ودعموا بها دعائم الدين المسيحي كدين . أمام هجمات الفلاسفة ، وتصرفات المتفلسفين .

إذا كان العراق وهو علم الإسلام الحقاق سيوصم بهذه الصفات غير صادقة ، وآراء غير مطابقة للواقع . وهو حين يعترف بعجزه وبتأخره ، إنما يقول ما لا يطابق الواقع ، وإنما يحدث بذلك في أفكاره حين تكتنفه من آراء ، وبيئة قد كان حق أن يكون ، على أنه هو المثل الأعلى ، الذي يجب أن يخصه به [illegible] كان العراق وهو علم ، وليس المسلمين عن تسويه ، يدل إلى هذا الدرك ، وما بقي المسلمين بعد ذلك

وهيا البحث عن عذر يتذرع به العراقي

وهيا لنعصر الفكر ، ونرهف الحس ، ونذوق العصر ، مرة ، بل وألف مرة ، علنا نعثر على ما يقبله من عذر له ، ونرفعه من كبوته ، ويدفع هذا التعصب وذلك التعرض ، ولو كان عذرا لا يرضي الحق الخالص ، ولا يطمئن المنطق السليم .

ولكنه على الأقل عذر يرضي كبرياءنا ، ويدمي جرحنا ، ويبقي على عصر رجاءنا ، وقد يكون هو الحق والصواب

هيا بنا !!

ومن آراء العراقي ونصرياته ، نستمد العون والتوفيق

١١ — الغزالي عن الكذب سببه

يقول عن الكذب في الأحياء، تحت عنوان: «بيان ما رخص فيه من الكذب»[1]

علم أن الكذب ليس حراما لعينه، بل لما فيه من الضرر على المخاطب، أو على غيره. فهو في درجاته، أن يعتقد المخبر الشيء على خلاف ما هو عليه، فيكون جاهلا. ورب جهل فيه منفعة ومصلحة، فالكذب المحصل لذلك الجهل، يكون مأذونا فيه، وربما كان واجبا.

قال مسلمة بن مخلد: «الكذب في بعض المواضع، خير من الصدق».

«يقول العراقي أيضا:

«وهذا هو القول:

الكلام وسيلة إلى المقاصد، فكل مقصود محمود، يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعا، فالكذب فيه حرام.

وإن أمكن التوصل إليه بالكذب دون الصدق، فالكذب فيه مباح، بل إن كان تحصيل ذلك المقصد مباحا، وواجب إن كان المقصود واجبا».

ودليل العراقي، على أن الكذب يجوز فيه الاستثناء، فلا يكون حراما، قوله:

«والذي يدل على الاستثناء، ما روى عن أم كلثوم

---

(١) ص ١١٥ ج ٣ من إحياء طبع ١٩٣٣ هـ بالمطبعة ...

ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرخص في شيء من الكذب، إلا في ثلاث

يرخص يقول: يريد به الإصلاح

والرجل يقول في الحرب

والرجل يحدث امرأته، والمرأة تحدث زوجها

يقول المعرض

«فهذه الثلاث: ورد بها صريح الحديث، وفي معناها ما عداها إذا ارتبط به مقصود صحيح لا أو لغيره»

ومن هذا القبيل: «فإن الصبي إذا كان لا يرغب في شيء إلا بوعد، فوعده، وحلف كاذب، كان ذلك مباحا.

ثم ورد في الأحاديث أن ذلك يكتب كذبا، ولكن الكذب المباح إذا قد يكتب، وحسب عليه الإنسان، وهذا يصحح قصده فقط، ثم هو عليه، لأن أصل القصد الإصلاح، وكل من أتى كذبه، فقد وقع في حصر الحديث، فعوقب بمقصوده الذي كذب لأجله، هل هو آثم في شرع من الصدق، أم لا

هذا ما عرى استدراك قائلا هذا ما تقدم وهذا عارض جدا، ولكن تركه، لأن الصبي واحد، بحيث لا يحوز تركه، كما لو أدى إلى سفك دم، أو إلى هلاك مهجة كف كان»

***

١٢ — الصلة بين الحكمة العرفانية والحكمة البرهانية

هل هناك من صلة بين ما تعنيه العرفانية من الحكمة المقصود صحيح كما صلاح ، وعميم صدين ، وما عدا ذلك مما في معناه ، وبين اعترافات العرفاء في الحقيقة

ثم ، لقد رأيت أن العرفاء السابقين من الحكمة في سبيل الصلاح

وقد رأيت أيضاً أن اعترافات العرفاء ، هي تصحيح موقفه ودعاه صرفه ، وصرف صوفيه لدى المشقة ، وسعيه بكل ما عنده من الحرق ، وما عانت ، قد تشدق عليها ثوب الحقيقة ، وأمس العذاب في حكمها الحسن

بعد هذا ، لا تكاد تجد بين العرفاء

أنه حين أراد أن يشرح ذلك بين الناس ، وعندما أراد أن يثبت طريق صوفيه ، الذي من أنه هو العرفاء الحق ، وسبيل النجاة ، النجاة نفسه هو محورها ، وحائط زواياه هو نظمها ، واستقى بعض فصولها من حصن به فعلاً ، وأضاف لهذه الفصول ، بعض الحقائق المتعددة ، وحملك نحس بعض الشكوك ، وبعض شتى الهواجس ، وقد نزعت حين الكتابة فقط

وهي أشبه ما تكون « بالرتوش » والتراويق ، التي يضيفها ريشة المصور على الصورة التي صنعها عن الصنيعة ، فيجمع فيها بين الحقيقة والخيال ، ويقرن فيها الواقع بالمثال

فعل العراق كل هذا ليحدث القصة، وتشيع فيها الحياة، لتقوى على التحدي، فتفتح طريق الإقناع، وتحملك على التسليم على صوابها، وتسهل لها السبيل إلى قلبك، وتحملك الحقوق إلى أملها

وبدلا من أن يعطيك قصة مخترعة من نسيج خياله، فصلها وهمي، وحوادثها، توحد خيالا إلا في عالم الحلم، كقصة حي بن يقظان مثلا، أعطاك قصة هو بطلها، وصاحب حوادثها

نعم وإذا كان قد كذب في هذه القصة، فقد كذب على حد، ١٢ — الدكتور طه حسين، مقدمة، وقادم المقصود ص
وإذا كان قد كذب غير الحق فقد صدق، لأن الكذب حرفة ما يصنعه من شر، وما يأتيه من قبح، وكما كان العراق نفسه «هو حرام عليه من الناس على الخاص وعلى غيره»

أما هذا، وفي هذه الاعترافات فهو يكذب ملتمسا الكذب لنفسه لا لغيره

وهذه كذبة لن يصدقها أحد، ولن توقع أحدا في شر، ولن تحدث به أي بلبلة في نفوس الناس إن تهمك، أو تحدث به أي ضلال

إن تفسير نفس بن الرشد والإصلاح، أو على الأقل، هو يكذب يدفع عن نفسه، ويصحح موقفه، يكون مثلا يحتذى، وتود حين يعتقد

فهي على كل حال قصة مخترعة، قصة كما قلت أسندها لنفسه، وفيها بعض الحقائق الواقعية، وبعض الحقائق المثالية

وهدفه من ذلك: الإرشاد والتعليم، وغرضه من هذا

١٤ - سبب هذه الاعتذارات

ولكن ما قيمة هذا الاعتذار؟

ولأي سبب سقت هذه البراهين؟

هذا ما سأشرحه في قوله فيما يلي، لأدافع به عن العراق، وعن نفسي عنه، وقد سمع هو به، كما قد سمع به بعض الناس.

وهو به قد لا يسمع كثير من المفكرين الأحرار والفلاسفة الأحرار الأصحاء، الذين لا يخشون في الحق لومة لائم، ولدى يريد العراق أن يحررهم في سبيلهم، وهي تريد كثيرا من بحوث المسلمين والمستشرقين، وضعها في مصنفاتهم.

وإذا كنت قد اجتهدت فيما في هذه الاعترافات، وحسبي وإرجاعها إلى أصلها، وكشفت المكر، وعصرت الذهن، حتى أثبت أنها اعترافات لا حقيقة لها، وأن تاريخ العراق مفكرين والعلمي كما حكاه هو نفسه في النقد تاريخ غير مطابق للواقع

إذا كنتُ قلتُ كل هذا وأكثر في سبيل هذا الاعتذار، فإني اعتذرت بذلك للعراق، وقدمت له عذر اعترافاته هذا الخروج، حتى لا يعارض العراق مع نفسه، وحتى لا يزل من عرشه الذي بناه على مدى القرون والأجيال، وحتى لا توجه إليه سهام النقد والتجريح، وحتى لا تقتل.

إنه قال اعترافات، هي غير صحيحة أصلا، وبث بين يديها تاريخه، وهو غير مطابق للواقع أيضا.

لأنه فى الواقع ما قال لم يرجع ، وما حكى إليه اعترافات وإنما قال . فصه ، ليست ثوب لحقيقه ، وحكى اعترافات ، تدل عليها ليس لواقع .

فإذا . الغزالى على هذا النحو و لاعتبار ، فى مكرامته ، ووقفه معه لثقة به ، والاطمئنان إلى أقواله

ثم إن هذا عتبار يبقى على لغزى ، كمفكر لحق لإسلام ، و فطر لمحات

١٥ — وما رأيك فى هذا الرأى ؟

ولكن الذى لا شك فيه ، أنه مهما أوّل ، وحرّف واعتذر ، فقد ثبت

أن هذه الاعترافات اعترافات الغزالى غير صحيحة فى جملتها

وأن هذا التاريخ تاريخ الغزالى ، الذى قصه فى المنقذ من ضلال ، والموصل إلى ذى العزة والجلال ، غير مطابق للواقع فى مجموعه

وأن الكتاب كتاب منقذ — لن يصبح بعد اليوم ، مصدرا «Foule» من مصادر تاريخ الغزالى الفكرى ، ولا منبعا نستمد منه حقائق تطوره العقلى ، والعلمى ، والنفسى ، وأنه عندما نؤرخ له ؛ يجب أن نبحث عن مصدر آخر ، نستقى منه كل مادته

وما قيمة المنقذ إذاً ؛ بعد هذا ؟

١٦ — وما قيمة المنقذ إذاً ، بعد أن سحبت هذه الاعترافات من الغزالى كرامته والثقة به ؟

ثم إن المنقذ يصبح بعد هذا الإسفار ، وذلك الإيضاح ، ولم

يحوى من اعترافات تحاها الغزالى ، وأرسها ليصحح عن طريقها الواقع .

يصح المنقذ جزءا لا تفصيلا ، شعاعا من الأشعة التى توضح لنا الغزالى وفلسفته ، وضياء يهدينا إلى الفكرة التى يجب أن نكونها عن الغزالى وعقليته

كيف جاهد وحاول ؟

أسبابه ووسائله

أهدافه وغايته ؟

وهل الغاية تبرر الوسيلة ؟

أو الوسيلة وغاية خيرة لا تبرر ؟

وهل وهل ؟

ما هو أثر هذا البحث ؟

ثم بعد هذا كله ، يمكننا أن نحمل أثر هذا البحث ، وأهداف تلك الحالة فيما يأتى :

المنقذ ليس تاريخ منبعى للغزالى

بل المنقذ من الضلال ، والموصل إلى أجزاء والخلان »

وما فيه ، ليس تاريخ حقيق لتدرج الغزالى الفكرى ، ولتصوره لعقلى والنفسى ، ولن يعتبر بعد اليوم مصدرا لذلك

ب — اعترافات الغزالى فى المنقذ هى مثالية

وأن الاعترافات التى سجلها بين صفحات المنقذ ، ليست

باعترافات صادقة صريحة ، مصادقة للواقع ، وإنى هى اعترافات مثالية ، كان يتمنى العراقى أن يكون حياته على شاكلتها

د — تاريخ العراقى فى المنفى هو قصته ، وأثر عاصم بطلها

ولهذا فقد يكون قصة العراقى ، التى قصها فى المنفى عن تصوره العقلى والنفسى ، حكايه مقصود منها الإرشاد والإنقاذ ، وشرح أسلوب فكرى توجيهى ، يرى العراقى أنه منقذ للناس من الضلال ، وموصلهم إلى ذى العزة والجلال

أما نص هذه القصة فهو العراقى نفسه

أما حقائقها ، فهى الواقع الذى حصل ، وهى المثالى ؛ الذى كان يتمنى العراقى أن يحصل

هـ — على المستشرقين وغيرهم أن يراجعوا ما كتبوا ، فقد يتصوا ما أبرموا

ولقد يجب على المستشرقين من الأوربيين ، والبحاثة من المسلمين ، الذين اعتمدوا على النقد من الضلال ، فى تاريخ العراق ، أن يراجعوا ما كتبوا ، فقد يتصوا ما أبرموا ، ويحوا ما عقدوا

أمثال

مكدونالد D B Macdonald ، نيكلسون الإنجليزى[1]

(١) وهذا هو المستشرق الوحيد الذى وجهنا من بعض سطوره نقدا وتعقيبا ، فى كتابه الذى كتبه عنه باللغة الأجنبية

N. Asin Palacios ، كارّا دي فو — Carra de Vaux ، جولد تسيهر — Gold Ziher ، براندتل — Prantl ، نيكلسون — Nicholson ، براون — Brown . ماكس هورتن — M. Horten دي بور — T. J. de Boer ، أوبرمان — Obermann ، شمولدر — Schmolder ، بلاشير — R. Blachère ، ميجار — B. de Meynard ، نللينو — Nallino ، وبروكلمان ، وسبيتا ، وغيرهم

هذا ، وقد كانوا أحسن تقديراً لكتب المؤلف ، فمنى بعضهم ، وقرظ بعضهم الآخر هذا الكتاب بما يلي :

٥ – مقارنة هذه الطريقة أو تجربة في أسلوب ذلك البحث

١٨ – مقدمات وتاريخ

أول شيء لفت النظر في هذه الرسالة أنها اتخذت الشكل الرسمي، أي مقدمات وتاريخ

وكذلك اتخذت الشكل الدراسي، فهي ذات بسيطة شرحت، وأخرى أوردت حسب سببها

وقد حدت رسالة هذين الهدفين الاثنين، حتى لا تصبح وقفاً على متخصص، وحتى تجتذب القارئ الشادي إلى مباهج العلم، فاستهل كاتبها بحثه، وحرره على نحو يجعل، فهي كقصة من بدايتها إلى نهايتها، وبين محتوى الجامعية

لأن هذه الحواشي كثيرة، مع أنها تحوي العلم والعلم حق، لكن كاتبها استنفد، وقد بعضها، حرصاً على وقتهم، ولأنها تدفعهم بعيداً عن متابعة الفصل الشادي

١٩ – بعض الاستشهادات وبعضها عن إلهام

وكذلك كانت الرسالة صغيرة الحجم، خالية من الاستشهادات التي لا لزوم لها، بعيدة عن بحوث تاريخية غير ملهمة، التي أولى أن تكون من صلب البحث، وصفحات تاريخ

وذلك حتى لا يضيع وقت القارئ، فالزمن زمن الحرب الخاصة، والدقيقة آن من حياة الإنسان، من حياة الإنسانية، عند آلاف السنين.

وإن الذى يمكن أن نقوله بكل حرية ويقين، أن جميع أفكارها مبتكرة (Origenale) وجميع ما صورت نحوه، لم يسبق إلى التصويب إليه أحد، مع كثرة الرواد، ووفرة الزاد

أما لغتها الرائعة والأخيرة ولهجتها، فهى الحرية والقوة، هى الحرية فى معانيها، وفى ألفاظها

أما قوة معانيها، وحرية أفكارها، فلا شىء فى ذلك ما دامت مقدمات صحيحة، وبراهين مستقيمة، مهما هذه مقدمات صحيحة، وما دامت لأمة عاقلة، حية، متفتحة، بين عقل، العصر

أما عفة لغتها، وقد كان فى الإمكان أن تكون أشد عفة من ذلك بكثير، وهذا هو ما نوجهه إلى أشد كبير — كان فى الفن الأعلى، وبالرغم كذلك لأنه يرى أن بعد عن هذا يضعف الشكل، بل ما يكون بعض معانى، وتضعف قوته

لا نرى فى ذلك صحيح

ولكن هذا لم يمنعها من أن تكون لغتها، وليدة مقدمات العامة، فهى عفيفة وقوية

وهذا لا يمنع أن تكون لغة الأدب التى يتجه إليها المعانى، وليدة الرسوم التى تحدد هذه المقدمات، قوية وعفيفة حتى تضيق فلا تصدق بها، وحتى تتحجب فلا يتهيأ لها

هذا لم يمنع أن هذه الكتابة فكرية تجعله هذه الاعتبارات

وقد ستها — لي أسدل عليها من السنين ، وكر القرون ، قوه ، ومنعة ، وصلادة !

هذه القوة وتلك المنعة وهاتيك الصلادة ، لا يمكن أن توجه إليها سهام النقد والتشكيك ، أو تنصب عليها ضواء لتحلل والصيد ، تعدن ضعفه ، وألفاظ ضعف ، فتنقص من أسهمها في خطرات وثوب[1]

وهذا وحب أن يكون معادل قوة ، والأمر كذلك ، فمكافئة مشاكلة مع المنقود : هذا إن لم يكن قوته قوة وعنف

وذلك أشبه ما يكون بكتلة حديد ، قد الأمم والذي « صخوره » وصلادته من قوة من عرفه هش منه ، وهو ق إلا الصلد المتماسك

هذه الكتلة لا يمكن هدمها إلا بقوى هذه من « شوه وبرن » ، ونصله من الفولاذ ، والمعدن يمسكه كأنه قد من ذلك الصخر

أما صخرة فيجب أن تناسب مع الهدف ، قوة صعقه ، فعلت ، عدة ، ثم صاعقة على كل ما وقعت في طريقها

ولا كذلك الحقيقة ومثل

كل صخرة يوم الموهبة في صدرها ، وعلى قوة وعلو

---

[1] لأن على ما أعتقد أن حين ... على ... لأنه على ... من ... وكان ...

تصويب

٣	٦	[illegible]
٦٨	٧	[illegible]
٨١	٤	[illegible]
١٢٧	٣	[illegible]

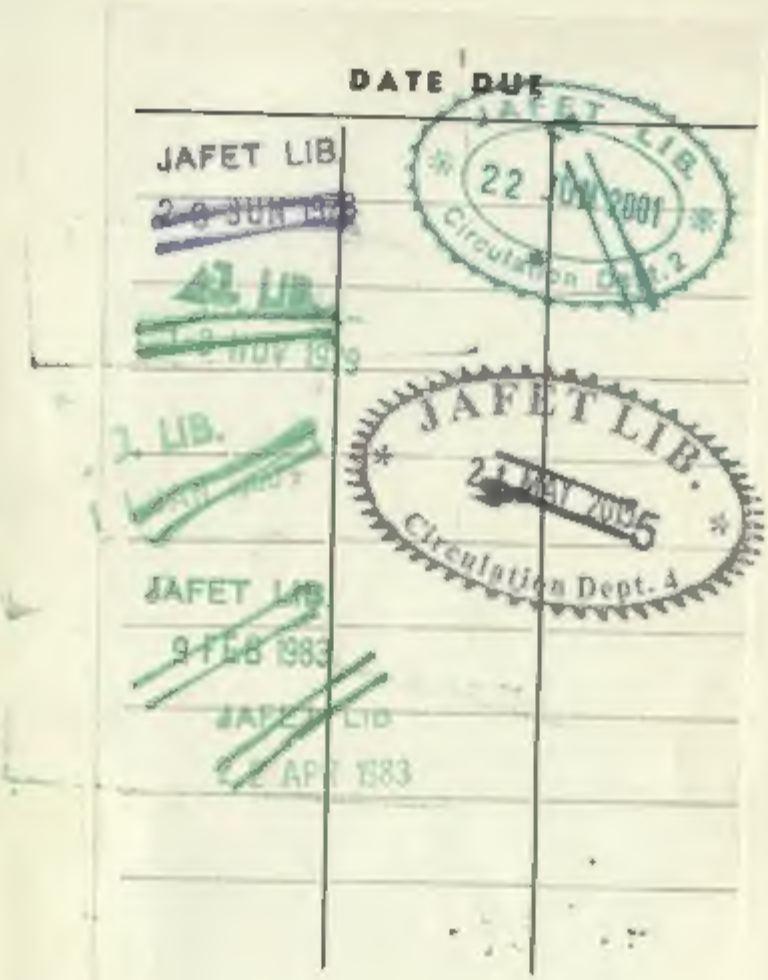
DATE DUE
JAFET LIB
JAFET LIB
Circulation Dept.
JAFET LIB.
Circulation Dept. 4
JAFET LIB
JAFET LIB

189.3-G41YbA c.1
البقري ، عبد الدايم ابو النعا
اعتراضات الغزالي : او كيف ارخ الغزال
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES

189.3
G41YbA